مضر الحلو

الخطابة الحسينية

تداعيات وآفاق



الخطابة الحسينية

تداعيات وآفاق

■ أسم الكتاب: **الخطابة الحسينية تداعيات وافاق**

■ المــؤلــف: **مضر الحلو**

■ الطبعة الأولى 2019

ISBN: 978-9953-597-78-2

■ صـورة الغـلاف: **الفنان حسين السكافي**

■ الإخـراج الفنـي: TRIGRAPHICS DESIGN & PRINTING

السيد حسن الحلو

الخطابة الحسينية

تداعيات وآفاق

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

٣٩ الأحزاب.

الفهرس

توطئة

الخطاب الديني:

الخطاب لغة: الخطب: الشـأن أو الأمـر، صغر أو عظم، وقيل: هو سـبب الأمـر، يقال : ما خطبـك؟ أي: ما أمرك؟ وتقـول: هذا خطب جليـل، وخطـب يسـير. والخطـب: الأمـر الـذي تقـع فيـه المخاطبة، والشـأن، والحال; ومنه قولهم: جلّ الخطب أي: عظم الأمر والشـأن. وفي حديـث عمر وقد أفطروا في يوم غيـم من رمضان، فقال: الخطب يسير.[١]

الخطاب إصطلاحا: مواجهة الآخرين بكلام قد يكون على شكل رسـالة، أو محاضرة، أو تسـجيل، أو نص معين، وقد يتعدى الكلام إلى الرموز، وتتنوع أشـكاله فمنه اللفظي الذي يستخدم اللغة كأداة له، وغير اللفظي الذي يستخدم العلامات والإشارات والإيحاءات، ويأتي هذا المصطلح مرادفاً لكلمات كثيرة كالكلام، واللغة، والرسالة، والحديث، والأطروحة، والنصّ، والقول، والسرد، ويعرّفه البعض على أنّه رسالة يقدّمها مرسل، ويستقبلها متلقٍ[٢]، وقال بعضهم: «هو كل ملفوظ يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها فهو نص، وإذا ما خرج ليندرج تحت السياقات الاجتماعية سمي خطابا»[٣].

١- لسان العرب مادة: خطب.

2- https://mawdoo3.com/

٣- محمد مصابيح. مفهوم النص والخطاب. بحث منشور على الأنترنت على الرابط أدناه:
http://www.nashiri.net/articles/literature-and-art/4022-v15-4022.html

المراد من الخطاب الديني: يتنوع الخطاب بتنوع حاجات الإنسان وأغراضه، كالخطاب السياسي، والخطاب الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، وغيرها، وأهمها من حيث شدة تأثيره، وقوة نفوذه على المتلقي، الخطاب الديني: وهو كل خطاب عام يتمحور حول مسائل الدين، يستند في مرجعيته إلى مصادر دينية، وهوأخطر أنواع الخطاب، لما يمتلك من تأثير مباشر، هائل بالمتلقّين. ولكي يكون الخطاب إسلاميا لابد أن يستمد مبادئه من القرآن الكريم، والسنة المطهرة. أما اهتماماته فتنصب عادة على نشر تعاليم الاسلام، ودفع الشبهات عنه، وتقديم حلول للمستجدات من المشاكل التي تواجه الإنسان المسلم في مجمل حياته، كما يتعهد بطرح الأجوبة على ما يثار من أسئلة جديدة تفرضها طبيعة المتغيرات المتسارعة التي تتصف بها الحياة المعاصرة.

أغراضا متعددة يتضمنها الخطاب الديني، منها: الخطاب القرآني، الخطاب الفقهي، الخطاب الديني الثقافي العام، الى غير ذلك، ومما يقع في هذا السياق، الخطاب الحسيني: وهو الخطاب الذي يعود في بداياته إلى استشهاد الامام الحسين (ع) يوم عاشوراء سنة ٦١ للهجرة، ولمّ يزل يتخذ من حركة الإمام الحسين (ع) محورا له، ومنهلا ينهل منه، مهما تعددت أشكاله، وتلونت مراميه، ورغم المراحل المختلفة التي مر بها، ورغم التطور الذي شهده من حيث الموضوعات المتنوعة التي يتناولها، إلا أنه ظل وفيّا لصاحب تلك التضحية الدموية الكبرى في تاريخ الاسلام.

للخطاب الحسيني صيغ محددة، وشروط معروفة في أوساط الشيعة، وله مواسم معينة تبلغ ذروتها في العشرة الآولى من محرم الحرام كل عام. وغير خاف ما يمتلكه هذا النوع من الخطاب من نفوذ، وتأثير بالغ في توجيه أتباع مدرسة أهل البيت (ع). سنشير إلى ذلك بشئ من التفصيل ضمن مواضيع الكتاب.

ستتمحور موضوعات الكتاب عموما حول الخطاب الحسيني تحديدا، وسيكون هذا النوع من الخطاب هو المستهدف في هذه الدراسة التي أرجو أن تكون مساهمة جادّة في سبيل النهوض به، ووضعه في موقعه الذي يستحقه، مسايرا لما يشهده واقعنا من تحولات هامة، وحركة متسارعة تتطلب رقيّا في الخطاب، وتجديدا في مضامينه.

المقدمة

لا يمكـن لمبـدء أن يسـتمر في التدفـق، وعبور هاجـس الاندثار والتلاشي، أو لفكرة ان تتحول إلى ثورة أبدية، ما لم تقترن بالأسلوب المقنـع، واللغة الجادة، والطـرح العقلاني. لا يكفـي أن يتّكئ المبدء على حجة قوية، وبرهان سـاطع ليكون مقبولا، وقادرا على المكوث في وعـي النـاس، وزعزعـة مسـلَّماتهم، وإحداث تغيـير جذري في منظوماتهم المعرفية والاخلاقية. بل ان قبولهم، أو رفضهم له يتأسس عـلى أسـلوب طرحـه، وطريقة تقديمـه، والصـورة التي يرسـمها اصحابه ومريدوه عنه. لذا نجد أن القرآن الكريم لم يشـأ الإعراض عـن هذا الأمر فـأولاه اهتماما خاصا، واعتنى حتـى بتفاصيله وهو يقارب مسـألة توجيه حملة الرسـالات السـماوية للصيغة التي تحقق لهـم غايتهم التي بعثوا من أجلها في الهداية والتغيير، ومثاله ما تدلل عليه مسيرة نبيّ الله موسى (ع) فعلى الرغم من كونه مرسلا ومسددا من السماء، ومؤيدا بالوحي الإلهي إلّا أن كل ذلك لم يمنع من تأكيد السماء وارشادها له على اختيار الاسلوب الأكمل في دعوة فرعون، قـال تعـالى: ﴿اذْهَبَـا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَـى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَـوْلاً لَيِّناً لَعَلَّـهُ يَتَذَكَّـرُ أَوْ يَخْشَـى﴾ طه/ ٤٣-٤٤، وكـذا كان الامر مع النبي الخاتم محمد (ص) إذ انهالت عليه تعاليم السـماء لترشده الى الطريق الأنجـع الذي يحقق له اهداف رسـالته، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَـنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَـبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) سورة

النحل. بـل ذهب القرآن الكريم الى ابعد من ذلك وهو يحذر النبي الكريم (ص) في أنه إن لم يتحلَّ بهذا الاسـلوب والتزم اسـلوبا اخر يتسـم بالغلظـة والخشـونة فإنّـه سيفشـل في مهمته وتبليغ رسـالته وعندها لن يشـفع له كونه مبعوثا من قِبل الله سـبحانه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا من حَوْلِكَ.. ﴾ (١٥٩) آل عمران.

غـير كافٍ ان يعتقـد الرسـول (ص) انـه عـلى الحـق كيـما يؤمن به الاخرون بل لابد ان تتحلى دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، والحوار ليس بالاسـلوب الحسـن فحسـب بل لابد من اختيار الاحسن. وبناء عليه يتضح أن ما يعتقده البعض من أن مجرد إيمانه بحق قضيته، والمبدأ الـذي يتبناه ويدعو اليـه قادر على إرغام الاخرين على الايمان به أيضا، اعتقـاد مجانـب للصـواب، بعيد عـن الواقع. بـل عليـه ان يفتش دائما عن مسـاحات مشـتركة بينه وبين من يريد ان يبلغهـم دعوته، ويضيء لهـم الطريق ممن يختلفـون معه كما يقرر قوله تعالى: ﴿ قُـلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِـنَ السَّـماوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُـمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٤) سبأ، ومثلها في الدلالة قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَـوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَـيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.(٦٤) آل عمران.

مـن هنا نجد كم مـن باطل تحقق، وصار مقبولا بعد أن أجاد أصحابه في طريقة تسـويقه، وأسـلوب الدعـوة اليه، وكم من حـق بالمقابل ضاع،

واستوى مرفوضا نتيجة إخفاق أتباعه ومريديه في أسلوب الدفاع عنه او المطالبة به.

المنبر الحسيني وعبر تاريخه الطويل الذي يمتد في جذوره الى فاجعة كربلاء، ويرتبط مشيميا بمأساة الطف التي تعرضت فيها أسرة رسول الله (ص) إلى جريمة إبادة على أيدي النظام الأموي (سنة ٦١ للهجرة) ، كرّسه أئمة آل البيت (ع) لحفظ هذه الفاجعة حيّة، متجددة، متدفقة، لا يزيدها مر السنين إلا ألقا، وعنفوانا، لترسيخ روح الرفض للظلم، والخنوع، وامتهان الكرامة، ونصرة المظلوم، وإفشاء حالة الوعي في المجتمع، وإيقاظ العقل من سباته، وتثقيفه على القراءات الدينية المتجددة، المتوهجة، البعيدة عن التنميط، بحيث تجعله بصيرا بما يجري من حوله، وخبيرا بموضع قدمه، عبر وصاياهم لأتباعهم ومحبيهم على إحياء هذا الأمر وتحدي عوامل محوه وتغييبه، ورد عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال للفضيل بن يسار: يا فضيل أتجلسون وتتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك. قال الإمام الصادق(عليه السلام): «إن تلك المجالس أحبها. فاحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيا أمرنا»[1] ، وعلى غراره ما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام): «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».[2]

استمر المنبر الحسيني في اداء رسالته التي وجد من اجلها بكل جدية

١- بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٢، الحديث رقم ١٤.

٢- بحار الأنوار، ج١، ص١٩٩، الحديث رقم ٣.

وأمانة، رغم قساوة الظروف التي واجهته حيث كانت الانظمة على مر العصور تنظر إليه بريبة واتهام بوصفه يتبنى قضايا الأمة، وحاز ثقتها. ما جعل تلك الانظمة المتعاقبة خصوصا في العقود الاخيرة وفي سلطة البعث في العراق منذ قيامها (سنة ١٩٦٨) إلى سقوطها (سنة ٢٠٠٣) على وجه التحديد توجه له ضربات موجعة تمثلت في إرعاب، واعتقال، وتعذيب، واعدام مئات الخطباء[٣]، منهم أسماء لامعة في سماء الخطابة الحسينية كالخطيب الشهيد السيد جواد شبر، والشهيد السيد عباس الحلو، والشهيد السيد غني الجزائري وغيرهم، وكذلك الآلاف من رواد مجالسهم. حيث كانت الحكومات المتعاقبة تخشى المنبر الحسيني، وتتعامل معه بحذر شديد بعد أن وجدته منبرا مضيئا، يثير الفضول للبحث عن الحقيقة، يعصف الذهن ويحفزه على التفكير. خصوصا وأن مجتمعاتنا ما زالت ثقافتها شفاهية في الاعم الاغلب لذا كان المنبر الديني عموما والحسيني على وجه الخصوص هو البوصلة التي تحدد اتجاهاتها في القبول أو الرفض، الحب او الكراهية، الصح والخطأ، التأييد أو المعارضة، تحديد الحق والباطل، وقد شهد تاريخنا البعيد والقريب احداثا مفصلية كان للمنبر الحسيني فيها دور الريادة في قيادة الأمة وتوجيه دفة الأحداث.

لم ينفك الخطاب الحسيني في تألقه وانحداره، قوته وضعفه، حيويته وخموله، عن حالة المجتمع بصورة عامة لما بينهما من تواشج وارتباط

٣- راجع كتاب الخطباء الشهداء. الشيخ حمزة الخويلدي، ومعجم الخطباء. السيد داخل السيد حسن، وموسوعة عن قتل واضطهاد مراجع الدين وطلاب الحوزة الدينية في بلد المقابر الجماعية. صاحب الحكيم.

عضـوي إذ كل منهما مرتبط بالآخـر، ينهض إن نهض، ويكبو إن كبا، يتوقـد إن توقـد، ويخبـو إن خبا، يرقـى إن رقى، وينحـدر إن انحدر، وفي كل مـرة يصيبه الضعف والذبول يُقيَض له من ينهض به، يجدده، يصحح مسـاره، ينفخ فيه روحا جديدة، وقد برزت أسماء لامعة كان لها دور بارز في مسيرته، سنأتي على ذكرها لاحقا.

هذا الكتاب

يـأتي هذا الكتاب كمحاولة على طريق النهوض والارتقاء بواقع المنبر الحسـيني سـعيا إلى أن يأخذ مكانته اللائقة في آفاق التثقيف، وصناعة الرأي العام على أسـس علمية متينة، ويخرج من حالة الرثاثة، وهزالة المضمـون إلى القـوة والرصانـة، ومـن السـبات والخمـول إلى التاثير والفاعليـة، اعتقـادا منّـا إن الإمـام أبا الأحرار الحسـين بـن علي (ع) يسـتحق أن يقـدم بصورة أرقـى، ومنهج أكمل، وإن مـا يمتلكه المنبر الحسـيني في الاجتماع الشـيعي، من رصيد روحـي هائل، وقابلية على التأثير لم يكن إلا ثمرة من ثمار دمائه، ودماء أهل بيته وأصحابه الزكية، وهو ما لا تمتلكه وسيلة أخرى على صعيد الاستقطاب، والتأثير.

حاولنـا تشـخيص أهم المشـاكل التي يعـاني منها الخطـاب الديني عمومـا والحسـيني بشـكل خـاص واضعـين لهـا الحلـول اتـكاء على تصـورات اسـتقاها المؤلـف مـن تجربتـه المتواضعة مع المنبر الحسـيني والتـي امتدت لاكثر مـن ثلاثة عقود تنقّل فيها في مسـاحات متعددة، ومجتمعـات متنوعة، وثقافـات متباينة، بـين شرق الأرض وغربها، لا تخلـو مآلاتها من نجاح تـارة وإخفاق أخرى، ومن معانـاة، مكنته من تكوين رؤية واضحة في التشـخيص والعلاج، ربما يكون مصيبا بها أو مخطئا، يشفع له في ذلك انحيازه الصادق للدين، وشريعة سيد المرسلين (ص)، والجهـود والتضحيـات التي بذلهـا آله المطهـرون (ع)، وخيار الصحابـة والمصلحـون من جانـب، وكذلـك انحيازه التام للإنسـان ومعاناتـه، وخصوصا قضايا الفقـراء، والمحرومين، ومن لا حول لهم

ولا قوة، ممن قد يكونون ضحايا خطاب ديني، تهريجي، غير مسؤول، يقطع رقابهم، أو يمنعهم ارزاقهم، أو يسلب عنهم الاستقرار والأمان في أحسن الأحوال[٤]، من جانب آخر.

من هنا ربما يجد القارئ الكريم غرابة في بعض ما سيقف عليه من أفكار عارية، مكشوفة، تضمنها هذا الكتاب قد تعد جريئة بعض الشئ، أو خارجة إلى حدّ ما عن النسق العام المتعارف عليه في مثل هذا النوع من الكتابات. لكن في تصوري ان النظرة العميقة للأزمات والمشاكل التي يعاني منها المنبر الحسيني من جهة، والتي تكفّل هذا الكتاب بيانها، وتسليط الأضواء الكاشفة عليها، وما تتعرض له مجتمعاتنا من انتهاك لكرامتها، وتعطيل عجلة التنمية عن الدوران والتي يدفع ثمنه غالبا الإنسان البسيط من جهة أخرى، كل ذلك يستحثنا على تحمل المسؤولية الشرعية، والإنسانية، والتفكير بجرأة وجدية قصيّة عن المجاملات، والمداراة، لغرض تطوير أداء المنبر الحسيني، والنهوض بواقعه نحو الأفضل.

وختاما أرى لزاما أن أتوجه بالشكر الجزيل، والثناء الجميل لكل من مدَّ لي يد العون لإنجاز هذا الكتاب باستشارة، أو تصويب، أو

٤- حدثني أحد السادة الفضلاء الناشطين المعروفين في الساحة الشيعية على النطاق العالمي، قال: لما ظهر أحد المهرجين المحسوبين على مدرسة أهل البيت (ع) على قناة فضائية، ونال بجرأة، ووقاحة، وقلة أدب من إحدى زوجات رسول الله (ص) متهما إياها بالفاحشة يقول هذا السيد الناشط: استنجد بي المسلمون الشيعة في الباكستان وافغانستان وأماكن أخرى لمنع هذا الخطاب التهريجي المتطرف فإنه أثار علينا المتعصبين والمتطرفين من الجهة الاخرى فأوغلوا في قتلنا، واستحلوا دمائنا، وأكثروا القتل وانتهاك الحرمات فينا.

ملاحظـة، أو مراجعة نصـوص الكتاب وتنقيحها، فلهم من الله تعالى مـا يُعطي به المحسـنين عـلى إحسـانهم، ومني جزيل الشـكر، وكامل الإمتنان.

كـما أرجـو من القـارئ الكريم في حـال اختلف معـي في فكرة أو تصور ما أن يشملني بحسن ظنه فلكل منّا زاويته التي من خلالها ينظر للوقائـع والأحداث. ولم أكن ممن يدّعـي العصمة لأفكاره، وامتلاكه الحقيقـة المطلقة. بل أني معتقد أن كل فكرة في الكتاب غير عصية على المناقشـة، وليسـت بعيدة عن النقد، وأن هناك مـن يختلف معي فيها، وهذه هي سـنّة الخلـق. ولذا قد أكـون مصيبا أو مخطئـا فيما طرحت، ولكن يبقى أملي كبيرا بـما يبديه إخواني القرّاء الكرام من ملاحظات، بداهـة إن أفكارنا سـوف يصيبهـا الخمول والذبول مـا لم تتعرض إلى التسـديد والنقـد. ويلـزم أن أشـير هنا أني لسـت في مقـام النصح أو الوعظ فيقينـا أن إخواني الخطباء أقدر مني على ذلك، ولكنها خواطر سنحت، وأفكار عنّت لي أرتأيت أن أسجلها علّها تسهم في تقديم أبي الاحرار، ومدرسـة الإسلام، وآل بيت النبي (ع) بصورة أكثر إشراقا وألقا.

اخيراً أسـأله جلّ في علاه أن يثيبنـي وينفعني يوم ألقاه بما أصبت، ويتجـاوز عنّي بـما أخطأت فيـه، وهو القائـل: ﴿ قُـلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا ﴾ الإسراء: ٨٤.

تمهيد

يعد الخطاب الحسيني بمختلف تجلياته، شعرا، أو نثرا، أو ندبا، من أبرز المعالم التي شكلت حضورا في أوساط المسلمين الشيعة الإمامية من حيث سعة الانتشار وقوة التأثير، سواءً على صعيد المجتمع من حيث إحاطة الأحداث المفصلية التي شهدها عبر تاريخه، وأدائه دورا محوريا فاعلا فيها توجيها وتحليلا وضبطاً لبوصلة مواقف المجتمع منها ، أو على الصعيد الفردي حيث كان للخطاب الحسيني عظيم الأثر في تشييد الثقافة العامة، ورعاية الحالة النفسية للفرد الشيعي في سياق القضية الحسينية ومالها من نفوذ واستحكام في الشخصية الشيعية.

وقد تصدى من خلال المنبر الحسيني لتلك المهام اشخاص اجتهدوا وتألقوا في تقديم خطاب معرفي، عقلاني، رصين، منتج، مستوحى من القران الكريم، والسنة المطهرة للنبي (ص)، وآله الكرام (ع)، فتركوا بصمات واضحة على مسيرته، بلغوا به أن يكون ملهما، فارضا احترامه على من يستمع إليه، اختطفوا الاضواء، فانجذب الناس اليهم. مما كرس أهمية المنبر الحسيني في تأريخ المسلمين عموما، وفي التاريخ الشيعي بوجه خاص.

لكن اللافت في السنين الاخيرة، والذي يستدعي وقفة جادة، وصريحة من قبل المعنيين ما شهدته من واقع مؤسف ألمّ بالخطاب الحسيني تنبّه له عدد لا بأس به من إخواننا الخطباء، حيث لا يخفون

قلقهم مما بلغه هذا الخطاب، مطالبين بمشروع ينهض به إلى الأفضل.. إلى مستوى يتناسب والتراث العلمي والفكري للشيعة، وحيث كنت منهمكا بكتابة هذه الأسطر إذ استمعت إلى خطيب وهو يشرعن، ويدعو إلى تطبير النساء فضلا عن الرجال من على المنبر!.

شهد المنبر في كثير من حالاته ترديا غير مسبوق يثير الشفقة ويستدعي الرثاء. فهو خطاب ركيك، مهترئ، مفرَّغ من محتواه العلمي، ومضمونه الروحي، لا يمتلك رؤية واضحة لما يعانيه المجتمع من تحديات تعيق حركته نحو التنمية والتطور والمواكبة، ماهي حاجاته؟ ما طبيعة المشكلات التي يكابدها؟ خطاب رابض في كهوف الماضي السحيق، يستدعي كل مخلفاته المقرفة لتتحول إلى معاول تهدم البناء المجتمعي المتجانس. خطاب مغرق في التخلف والخرافة، ويلفعه التسطيح والتجهيل. خطاب على خلاف مهمة الانبياء الذين ما بعثوا الا ليثيروا دفائن العقول كما عن أمير المؤمنين ع: ﴿فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ... وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ﴾[5] في حين يسعى هذا الخطاب المتراجع الذي نقصده لدفن العقول في قبور الجهل والتخريف، وإيصاد باب التفكير، فضلا عن الإيمان بمجموعة من المسلمات وتصويرها على إنها هي الدين لا غير!. فضلا عن انه في الكثير من حالاته خطاب طائفي، ظلامي، عدواني، عاصف، مأزوم، لغته السائدة السباب والشتائم، والاستهانة بالآخر بل ربما اقترب من البذاءة أحيانا، ناهيك

٥- الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة (للصبحي صالح) ص٤٣، قم: هجرت، ط١، ١٤١٤هـ..

عن المبالغات، وازدراء العقل والتفكير، خطاب ابتعد كثيرا عن إثارة قيم الإنسانية وترميم الحالة الروحية التي يعتبر المنبر الحسيني من أهم روافدها خصوصا للعامة من الناس. إن المنبر صوت الحسين (ع) فلا يحق لأحد الاستخفاف به. بل لابد أن يكون منسجما مع رسالة أبي الضيم (ع) في الإصلاح. هذا ولا يخفى ان من الصعوبة إن لم يكن متعذرا إطلاق تقييم أو حكم عام يشمل جميع المنابر والمناهج المتبعة، وأثر كل واحد منها على الجماهير، فإن ذلك يحتاج الى جهود، ومشاريع مؤسسات كبيرة تقوم به، وإنما نحن بصدد رسم خطوط عريضة للحالة العامة التي يبدو عليها المنبر الحسيني في عصرنا الراهن.

لا يُنكر وجود تجارب جدية لبعض الخطباء للنهوض بالمنبر، وإنقاذه مما طرأ عليه من ضعف، وأصوات موهوبة تحملت المسؤولية، وانفردت عن جوقة الخطاب البائس، فاختطت لنفسها اسلوبا مائزا اتسم بالعقلانية والراهنية إضافة إلى المسؤولية، ولكنها ما برحت اصواتا خافتة وسط كل هذا الضجيج المنفر الذي اغرق الفضاء، وغزى البيوت، أصواتا ظلت محدودة في تأثيرها، لم تمنح فرصة كافية كيما تعرض مالديها، ولم تسلط عليها أضواء الإعلام لتثبت جدارتها، وتحتل موقعها المناسب عند الجمهور.

بناءً على كل ما مضى اتضح أن دعوى تجديد الخطاب الحسيني وإصلاحه لم تنشأ من فراغ، ولم تكن وليدة ترف فكري بلا مبررات منطقية، ومسوغات عقلائية خصوصا أننا لم نعد كما كنا في السابق معزولين عن العالم بل اصبحنا نعيش ضمن عالم مدهش يعج بالحركة

ويفاجئنا بكل ما هو جديد سواء في عالم الافكار، أو ثورة التكنولوجيا والصناعـات، أو غيرها. وبما اننا جزء لا يتجزء من هذا العالم أضحى مـن غـير المنطقـي ان نبقـى حذرين حد الخـوف من أن يطـال التغيير آلياتنـا واسـاليبنا ومفاهيمنا التي نتواصل بها مـع محيطنا الداخلي تارة والخارجي أخرى.

جميعنـا يتذكر كيف كانت الخطبة الدينية لا تتجاوز حدود المتلقين المباشريـن قبـل انفتاح الفضاء لتصـل إلى شرق الارض وغربها حيث ترتبت على ذلك مسـؤوليات جسـام، فرب كلمة غير مسؤولة يقولها شـخص في الغـرب تسـببت بإراقة دمـاء بريئة في الـشرق، ومن جهة أخرى اصبحنا في مواجهة مباشرة مع العالم ما جعلنا مسؤولين مباشرة عن رسم صورتنا التي نريد من الآخر ان يرانا عليها من خلال خطابنا الديني والحسـيني بشـكل خـاص، وقد تطـرق عميد المنبر الحسـيني المرحوم الشـيخ الوائـلي إلى هذا المعنى قائلا: «أصبحت مسـؤولياتهم – يعنـي الخطباء– ثقيلة، ومهمتهم شـاقة بعد أن صعد الزمان بأهله، ووضع المنبر مباشرة أمام سمع العالم وبصره عن طريق وسائل الإعلم المرئية والمسـموعة، وصار الناس يستمعون إلى أطروحاتنا، ويقرؤون عقولنـا.. ليحكموا عليها بعد ذلك ليرفع أو يضع، ومع نتيجة الحكم يتعزز مكان المنبر من السـاحتين الإسـلامية والإنسـانية»[٦]. فلا معنى لاسـتهانة البعض بالرأي العام ونظرة الآخر لمذهب أهل البيت (ع)، وادعاؤهـم بأنه لا مـبرر لمراعـاة مايقوله الاخرون عنـا مادامت هذه

٦– الوائلي، الشيخ أحمد. مصدر سابق: ١٢٤.

اعتقاداتنـا وآراؤنـا وشـعائرنا! نعم قـد يكون هذا الادعـاء صحيحا بخصوص ما قام عليه الدليل وورد فيه النص اما ما لم يقم عليه برهان مـن نص أو غيره فلا مبرر لعدم الاهتمام بانطباعات الاخرين، وعدم تقديـر تبـدل الظروف، كما ورد عـن عَبْدِ السَّـلَامِ بْنِ صَالِـحٍ الْهَرَوِيِّ قَالَ سَـمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا (ع) يَقُولُ: « رَحِمَ اللهُ عَبْداً أَحْيَا أَمْرَنَا. فَقُلْـتُ لَهُ: فَكَيْفَ يُحْيِـي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَـا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا. ...».[٧]

٧- ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار ص١٨٠ ح١، تحقيق: علي اكبر غفاري، قم: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في حوزة قم، ط١، ١٤٠٣هـ.

أهمية المنبر الحسيني

مـن أهـم عوامل بقاء التشـيع وديمومتـه إضافـة إلى الحيوية التي يتصـف بها منهجه وتاريخه أمران؛ العلماء ومـا أبدعوه من اجتهادات ونظريـات وآراء علميـة رصينـة في المعـارف الدينية المختلفـة، والمنبر الحسـيني الهادف والمسؤول. فليس من وسيلة تمكنت من نشر مذهب اهـل البيـت ع وترسـيخه في وجدان الأمـة كالمنبر الحسـيني، ولم يعد خافيـا عـلى اي متابع مـا للمنبر الحسـيني مـن أثرعلى الفرد الشـيعي حيث تغلغل في وجدانه حتى صار يسـاهم مباشرة في تشـكيل النسق الثقـافي والعقـدي لـه، ويرسـم مسـارات حياتـه في الغالـب، ويقرر مـا ينبغـي ومـا لا ينبغي له، ومـا يؤمن ومـا لا يؤمن بـه، فهو حصنه الحصـين إن ادلهمت حوله الامور، والتبسـت عليه المفاهيم، وجارت عليه السـلطات الحاكمة. فأضحى الفرد الشـيعي يسـتغني بالمنبر عن الكتـاب غالبـا، بل ان تأثيره بلـغ عند الكثيرين درجـة يتلقون عندها مـا يلقيه الخطيب كالمسـلمات التي لا تقبل نقاشـا. كان ذلك يوم كان المنبر هو القناة الوحيدة التي تبث المعارف الدينية، والمبادئ الاسلامية الأصيلة، إضافة إلى التاريخ والاخلاق، والأدب، فضلا عن التصدي للشـبهات التي يتعرض لها الاسلام بصورة عامة ومذهب اهل البيت (ع) عـلى وجـه خاص. أمـا اليوم وبعد ثـورة تكنلوجيـا المعلومات، ووسـائل التواصـل المتاحة، ومحـركات البحـث العالمية التـي وفّرت المعلومة بيسر وسـهولة وبوسـائل جذابـة ومحببة للنفـس وُضِع المنبر وفرادتـه السـابقة أمام تحـدّ خطير، فقـد أصبح الجميع مكشـوفا أمام

الجميـع والبقاء للاقوى الذي يمتلك وسـائل اكثـر قدرة على الجذب والاقناع. إلى جانب ذلك شـهد عالمنا الاسلامي تفشي ظواهر جديدة كالارهاب، والعنف، واللاتسـامح، والتكفـير، وفرض الرأي بالقوة والإكـراه، وتزييف مفاهيـم الدين الحنيف، والغلـو، والطائفية، هذه الأوبئـة التي تفتك به لدرجة انك اينما ترمي ببصرك لا تجد الا حروبا مسـتعرة وقودها عداوات، واحقاد، وكراهية وعليـه فإن ما كان يعد صالحـا طرحه مـن المفاهيم واحداث التاريخ في السـابق ربما تسـبب طرحـه الان بازهـاق الارواح وإراقـة الدمـاء فليـس كل فكـرة وإن كانـت صائبـة قابلة للعرض إذ لابـد من أخذ الزمـان والمكان وتبدل الظـروف بنظر الاعتبار فيما لو ابتغينـا التأثير بالواقع، ألم يكن هذا هو منهج القرآن بالضبط حين كان يخاطب أهل مكة باسلوب مختلف عمّا خاطـب به اهـل المدينة ولذا صُنّفت آيات وسـور القـرآن الكريم إلى مكية ومدنيـة، ففي مكة اخذت صيغة ﴿يا ايها الناس﴾ الحالة الغالبة في الخطـاب القـرآني، أما في المدينة فكانت ﴿يا أيهـا الذين آمنوا﴾ هي الصيغة العامة، كذلك ما كان نزول آيات القرآن تدريجيا خلال ثلاث وعشرين سنة لولا خضوع نزوله للظروف الزمانية والمكانية.

من هنا فإن دعوى التجديد في خطاب المنبرالحسـيني لم تكن رغبة مجردة في ابدال حالة تقليدية بأخرى بلا مبررات عقلائية ملحّة، بل هي محاولـة مخلصة لتطويـر آليات هذا النهج الهام المؤثر بما يتيح له معالجة مايعانيـه المجتمع اليوم من مشـاكل على المسـتوى الفكـري والثقافي، والاجابة على ما يطرح في الساحة الاسلامية من شبهات وما يثار من اسـئلة غير معهودة ولا مطروقة سابقا فرضتها التحولات الهائلة على

مختلف الصعد خصوصا في مجال التواصل وتبادل المعلومات.

فقد صار لزاما على المنبر أن يساير كل هذا التطور الهائل، ويثبت جدارته أمام هذه التحولات كي يحافظ على ألقه وريادته، ولا يصرّ على التشبث بنمطيته المملة فيضمحل دوره، ويخبو ألقه ليتحول إلى شيء من الفلكلور الشعبي، وأثر من الماضي.

مع الدور الايجابي المحدود جدا الذي يؤديه المنبر الحسيني اليوم، لا بد من الإقرار بحجم التدهور الذي يعانيه - إنّما نتحدث هنا عن الحالة الغالبة، صاحبة الصوت الاعلى والتي تحظى بتغطية وسائل النقل الفضائي- حيث أصبحت الخرافة مادة دسمة في أحيان كثيرة، إضافة إلى المبالغات التي لا يقبلها عقل ولا منطق ولا شرع، مما جعل المنبر في حالات غير قليلة مادة للتندر. يروي الشيخ أحمد الوائلي (رحمه الله تعالى)، قائلا: «ذكر لي أحد الخطباء أنه مر على خطيب يقرأ وله جمهور لا بأس به من حيث الكم فسمعه يذكر - لعل أغلبنا سمع هذه الأسطورة التي ما زال البعض يتلوها على المنابر- :أن امرأة كان زوجها ينهاها عن الخروج من المنزل وتوعدها بالطلاق إن خرجت ولكن لما صار يوم العاشر من المحرم لم تستطع البقاء في المنزل لأنها اعتادت أن تساهم في طبخ الطعام الذي يعد للمشتركين في عزاء الحسين ولما رجع زوجها لم يجدها في البيت فغضب وعزم على تنفيذ وعيده بطلاقها ولم يلبث إلا قليلا حتى دخلت زوجته فقال لها ألم أنهك عن الخروج؟ أنت طالق. فقالت: على مهلك أنا لست زوجتك وإنما تصورت بصورتها وجئت لأطبخ لك طعامك لأن زوجتك مشغولة

بطبـخ طعام ولدي وأنا فاطمة الزهراء. ثم يعقب الوائلي بقوله: «ولا أريد التعليق على الحادثة لأن مواساة آل محمد في أحزانهم أو أفراحهم ثوابها عند الله تعالى عظيم ويترتب عليه أجر ولكن لا بهذه الأسـاطير التي تترتب عليها مفارقات أقلها الهزء والسخرية فما أغنى أهل البيت فيـما لهـم من فضائـل كثـيرة وصحيحة عن أمثـال هذه الأسـاطير... الـخ»[8] وأخطر من ذلك التحريض على التطرف وبث روح الكراهية، والسـباب والشـتائم لكل مخالف في الرأي. وهو ما يحز بالنفس ويؤلم كل حريـص، حيث تكـون النتيجـة الطبيعية لهذا النـوع من الخطاب هي الانسـياق وراء التشـدد والارهاب، أو الارتـداد، والتنكّر للدين ومفاهيمه. أضف إلى أن اعتماد المبالغات والاضافات، والثرثرة تؤدي إلى طمس معالم أصل الحدث وانطفاء جذوته بالشك فيه فيمسي حدثا شبحا لا روح فيه، يذوب ويتلاشى فيُنسى حضوره، ويغيب تأثيره.

٨- الوائلي، الشيخ أحمد. مصدر سابق: ٢٠٢.

أهداف المنبر الحسيني

من الضروري ان نذكر هنا ان الدعوة إلى التجديد في المنبر الحسيني لا تلغي أو تتجاوز على البذرة الأولى والركيزة الأهم التي قام عليها، وأحدثت نشأته الأولى، وكانت الغاية من وجوده، والتي لا تعدو مأساة عاشوراء والمذبحة التي تعرضت لها عائلة رسول الله (ص) متمثلة بالامام الحسين (ع) ومن معه من اهل بيته وصحبه الكرام، وسبي عياله وما رافقها من مآسي، اضافة إلى مصائب الأئمة الآخرين من آل البيت (ع).

ولذا لابد من التفريق بين أهداف المنبر، وأهداف الدعوة الى تجديده. فتحديد الهدف في اي تحرك كفيل بتمكيننا من اختيار الوسائل الناجعة المساعدة لتحقيقه. أما مع التشويش، وعدم الوضوح فمهما كان العمل متقنا ونبيلا لن يحقق النتيجة التي يصبو إليها، والحال نفسه في خطاب المنبر الحسيني إن كنّا نتوقع منه تأثيرا جديّا وننتظر منه ان ينجز وعوده، ويقدم عطاءً ملموسا لا بدّ من تحديد وظيفته بكل شفافية ووضوح وبذلك ننقذه من حالة الضياع والتخبط.

أحد أهم أسباب انفصال هذا الخطاب عن الواقع وغيابه عن التأثير فيه، وبالتالي عجزه عن تحقيق غاياته هو الاعتقاد السائد عند كثير من المسلمين الشيعة الذين يرون ان وظيفة المنبر الحسيني انما هي التربية، والتنشئة على الهدى والصلاح، وهو تصور مجانب للصواب، بعيد عن الواقع، افقد الخطاب تأثيره على المتلقين. اذ ليس منطقيا

ان مـن لم يحصل عـلى التربية الصالحـة والتكوين السـليم منذ طفولته ونعومـة اظفـاره حتـى ادرك مرحلة الشـباب أو الكهولـة فضلا عن الشـيخوخة يمكن ان تصلـح اعوجاجه الخُلقي وانحرافه السـلوكي خطبة هنا أو محاضرة هناك. فالأمر اعقد من ذلك بكثير. هذا التعويل الخاطيء على الخطاب الديني ربما سـاهم في تزهيد القائمين على ادارة شـؤون المجتمع والدولة، وصرف اهتمامهم عن وضع برامج تربوية بناءة حديثة تتكفل تنشـئة أجيال صالحة معافاة من العاهات النفسـية والتشـوهات الخلقية، ولنـا في التجربة اليابانية خـير مثال حين أولت المؤسسـة التربوية اهتمامهـا ببناء الطفل منذ مراحله الأولى بناءً سـليما تمكنت معه ان تصنع أجيالا تتسـم بالسـمو الاخلاقي واحترام القيم الانسانية.

لذلك فان وظيفة الخطاب الحسيني لا تتعدى التذكير بعد افتراض ان المستمع قد تكوّن في طفولته الأولى تكوينا صالحا في البيت، والبيئة، والمدرسة، فربما يكون قد تعرض لاحقا إلى انحراف أو غفلة أو نسيان جـراء زحمة الحياة وتعقيداتها، أو تاثر بظـروف معينة ابعدته عن جادة الصـلاح. هنـا يأتي دور هذا المنبر كـي يذكّره بعد نسـيان، وينبّهه بعد غفلة ليثير نوازع الخير في نفسه فيعيده إلى جادة الصواب. وليس ذلك ببعيـد عـن منهج الأنبياء ع إذ لا تتعدى مهمتهم التذكـير ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ الغاشية: ٢١.

من ذلك نفهم سـبب عدم تأثـر مجتمعاتنا بهذا الخطاب مع كثرة ما يطرق سمع الفرد من مواعظ ونصائح ربما يوميا ولم يتغير شئ.

تبقى الأهداف الإنسـانية من أنبل وأسـمى أهداف المنبر الحسيني (بداهة أن الحسـين في تحركه حمل هموم الإنسـان.. وعمل جاهدا على توفـير ما يصون الكرامة، ويحفظ الحقوق، ويرتفع بالفرد عن أن تناله أغلال الإستعباد بشكل وآخر).[٩]

٩- الوائلي، الشيخ أحمد. مصدر سابق: ٦٣.

أزمة الخطاب الحسيني

بداية لا بدّ من ذكر حقيقتين:

الأولى: ان الخطـاب الديني عموما والحسـيني منه خاصة يمتلك تأثيرا مباشرا على جمهور عريض في المجتمع الاسـلامي، وهو اكثر الخطابات سـماعا ومتابعـة واهتماما به. خصوصا بعـد صعود تيار الاسـلام السـياسي للحكم في اماكن عديدة من العالم الاسـلامي الذي زوده بطاقة اضافية، واتاح له مسـاحة من الحرية أوسـع. اما تأثـيره على مريديه وهـم شريحة اجتماعية واسـعة فيكفي ان خطبة دينيـة واحدة يمكن ان تـؤدي إلى انهيار السـلم المجتمعي، وتمزق الانسجام والتعايش في مجتمع ما، بالأخص المجتمعات التي تعاني مـن انتشـار الأمية وتفـشي الجهل وتوطـن الخرافـة، أو تلك التي تعيش حالة من الضعف والهشاشـة في نسـيجها الاجتماعي كما هو الحـال في مثل الواقع العراقـي حاليا. هنا تكمن خطورة موضوعة الخطاب الاسلامي واهميتها.

الثانيـة: تجتـاح الخطاب الاسـلامي حالة من الرثاثـة والهبوط غير مسبوقين. فهو جزء لا يتجزء من الواقع الاسلامي المأزوم والمتردي جـراء مـا يعانيه من ازمـات حـادة في الثقافة، والوعي، والمسـتوى العلمـي، وغيرها. وما الخطيب والخطـاب الا نتاج المجتمع ينهض بنهضته ويتعثر بالفشل حال فشله، كما ينعكس ذلك على تخلفه على الصعد كافة كالتعليم والصحة والزراعة والصناعة وغيرها.

لقد ساهم تسنم الاسلام السياسي مقاليد الحكم في بعض البلدان الاسلامية بتدني مستوى الخطاب الديني بعد ان اصبح رهان الساسة الجدد في التشبث بالسلطة والنفوذ على ما يحققه لهم هذا الخطاب من تغييب وعي الناس والتلاعب بسلّم أولوياتهم من خدمات في الصحة والتعليم والامن وغيرها فتحقق للحاكم بأمر الله الجديد ما كان يأمله من هذا الخطاب فقد منحه الشرعية، وجعله خارج نطاق المسائلة، فلا يسئل عن تقصير، ولا يحاسب على فساد، بل لا يتوقع احد منه انجازا مادام هو الحامي للعقيدة والحارس للدين والمذهب. ولذا كانت ابرز سمات هذا الخطاب التخلف وازدراء العقل واقصائه لصالح المثيولوجية، والمنامات، والقصص الخيالية، ونشر الكراهية بين اتباع الطوائف والإثنيات في المجتمع الواحد ما أوجد حالة من الاستقطاب اتاحت لهؤلاء الساسة التمسك بهم، والتفاف الناس حولهم، والقبول بهم على كل حال ما جعلهم يمسكون بالسلطة رغم كل ما هم عليه من فساد، وتقصير، وفشل فاضح.

تبنت الاحزاب الدينية القابضة على السلطة في اكثر من بلد في العالم الإسلامي هذا المستوى من الخطاب وشجعته رغم عدم ايمانها به، واستهجانها له في اروقتها الخاصة، وفي ادبياتها ايضا لكنها بذات الوقت منحته امكانات هائلة استحوذت عليها جرّاء سلطتها التي بسطتهاعلى وسائل الاعلام كالفضائيات وسواها من منابر الاعلام، ما ادى إلى انحسار الخطاب المتزن المسؤول، المعتدل، وبالتالي تهميشه وإقصائه، وتسيد الخطاب المأزوم، المنفر للآخر المختلف.

لم تكن الأزمات التي يعاني منها الخطاب الحسيني بعيدة عما يعانيه الخطاب الاسلامي بصورة عامة اذ يكفي ان ترمي ببصرك إلى كل زاوية من العالم الاسلامي لتدرك حجم التدهور وتكتشف فداحة الانهيار وتقف على الهوة السحيقة والمفارقة الهائلة بين هذا الخطاب وبين مآلاته «لقد وصلنا إلى درجة مخيفة، إذ توطن وحش الكراهية قلوب جماعات من الشباب في مجتمعاتنا، فأضحى مرضاً يبلغ مرتبة تفوق قدرة الكائن البشري على التحكم به، وتفاقم هذا المرض بنحو تغلغل فيه العنف وتشبعت به الذات، فتبدّى في لغتهم وأصواتهم وأجسادهم ومواقفهم، وفشلوا في إخفائه مهما حاولوا أن يغلفوه ويتكتّموا عليه.

أعرف شبابا ممن يتفانون في تلوين سلوكهم بصورة مشرقة، ويحاولون تقليد ومحاكاة سلوك شخصيات مسالمة دافئة وديعة، لكنهم يفشلون في التغلب على عدوانيتهم المتجذرة، وكراهيتهم لكل شيء من حولهم ، فصاروا كأنهم قنبلة موقوتة تتفجر عنفا، مع أول تماس بأي كائن بشري.»[١٠].

ما يلفت النظر في عالمنا الاسلامي ويميزه عن غيره، كثرة خطب الوعظ والإرشاد، والوعد والوعيد، مع تعدد واختلاف القنوات الاعلإمية التي تكفلت نقلها وبثها من خطب الجمعة إلى خطب المناسبات كالأعياد وغيرها أضف إلى خطب محرّم، وشهر رمضان وباقي مناسبات أهل البيت (ع) عند الشيعة فلا يكاد يمر يوم إلا

١٠- د. عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، ص٩٨.

ويستمع الفرد المسلم إلى خطبة واحدة على الاقل لكن في المقابل يجد المراقب المجتمعات ذاتها يعصف بها الفشل، يدمّرها التخلف، ينهش خيراتها الفساد، مجتمعات تمر بحالة من التقهقر والنكوص في كل ما هو ايجابي وبنّاء مع طغيان الظواهر السلبية كانتشار الايتام في الشوارع وتسللهم من مقاعد الدراسة (حيث بلغ عدد الايتام في العراق مثلا ٥ مليون حسب احصائية اليونسيف الصادرة في ابريل ٢٠١٧ منهم نصف مليون مشرد في الشوارع بدون مأوى يحصل هذا في بلد وصفت ميزانياته بالانفجارية ولكنها لم تستوعب هؤلاء الاطفال)، إلى تفشي الرشوة، والفساد المالي بأسوء صوره، وتلاشي الخدمات، وغياب المسؤولية. وحيث كنت أدوّن هذه السطور صدرت إحصاءات ومسوح عن القمة الحكومية العالمية المنعقدة في دبي وتقارير رسمية تشير إلى تراجع كارثي في التنمية البشرية حيث أظهرت النتائج فيما يخص العالم العربي أن ٥ ,١٣ مليون طفل عربي لم يلتحقوا بالمدرسة عام (٢٠١٦)، ٣٠ مليون عربي يعيشون تحت خط الفقر، تريليون دولار كلفة الفساد في المنطقة العربية، ٥ دول عربية (من ضمنها العراق) في قائمة العشر دول الأكثر فسادا في العالم، ٢٠ ألف كتاب فقط ينتجها العالم العربي سنويا أقل من دولة مثل رومانيا، ٤١٠ مليون عربي حظهم ٢٩٠٠ براءة اختراع فقط أقل من كوريا حيث أنجز ٥٠ مليون كوري ٢٠٢٠١ براءة اختراع، أما الإرهاب والحروب والفتن الداخلية فللعرب والمسلمين الحظ الأوفر منها فرغم أن العالم العربي يمثل ٥٪ من سكان العالم إلا أنه يعاني ٤٥٪ من الهجمات الإرهابية عالميا، ٧٥٪ من اللاجئين عالميا هم عرب، ٦٨٪

من وفيات الحروب عالميا عرب، من عام ٢٠١١ حتى ٢٠١٧ خسائر بشرية تصل إلى ١,٤ مليون قتيل وجريح من العرب، من عام ٢٠١١ حتى ٢٠١٧ تم تشريد ١٤ مليون عربي، من عام ٢٠١١ حتى ٢٠١٧ تـم تدمير بنية تحتيـة بقيمة ٤٦٠ مليـار دولار، من عـام ٢٠١١ حتى العام الحالي ٢٠١٧ خسـائر في الناتج المحـلي العربي بقيمة ٣٠٠ مليار دولار.[١١]

فقـد الخطاب الديني في هـذه المجتمعات تأثـيره الإيجابي الذي يمكـن أن يسـهم في منـع أو تحجيـم كل هـذه النتائـج الفجائعية، والامراض الفتاكة، والظواهر المدمرة، والسؤال الذي يطرح نفسه بجـدارة: لماذا لم يتاثر سـلوك أفراد المجتمع المسـلم بهـذا الخطاب خصوصا هو لا يبرح: قال الله تعالى، وقال رسول الله (ص)، وقال الامـام (ع)، في مجتمع يفترض انه الاشـد تمسـكا بهذه المقدسـات واحتراما لها؟ لماذا أصبح قوت اليتامى، والفقراء مسـتباحا للطبقة الحاكمة، وللاقوياء؟ لماذا لم يعالج هذا الخطاب الفساد، وموجات الكراهية والاحقاد والكذب والنفاق والغش، ...الخ؟ لماذا فشـل هـذا الخطـاب غالبا في بناء مجتمـع صالح عبر تربيـة ابنائه على قيم المحبة، والتسـامح، وحب الخير، والصدق، والامانة، والنصيحة، والحرص على الصالح العام، وروح الانسـانية، والمسؤولية، الخ؟ وفشل في بناء الايمان بالله تعالى في النفوس قبل كل شئ؟.

بـكل تأكيد ليس الخطاب الديني وحده من يتحمل مسـؤولية كل

١١- القمة الحكومية العالمية التي انعقدت في دبي بتاريخ مابين ١٢ و ١٤ فبراير عام ٢٠١٧.

ذلك الفشـل بل هي مسـؤولية تضامنية يتحملها معه اكثر من طرف، الدولـة بوضع المناهـج التربوية الحديثة للاطفـال في المراحل العمرية الأولى، والاعلام بكل أشكاله.

أسباب إخفاق الخطاب الديني المعاصر

يمكــن إيكال الإخفاق في الخطاب الدينــي المعاصر عموما، ومنه الخطاب الحسيني، في تحقيق أهدافه إلى جملة أسباب تشكل أبرز ملامحه الحالية، أهمها:

١ – الأسـلوب التربـوي الخاطـئ الـذي يعتمده الخطـاب الديني بصـورة عامـة، حيث يتم التركيز عـادة على العبادات وشـعائر الدين الاخـرى، في قبال إهمـال واضح للقيم الروحيـة، ومبادئ الاخلاق. يضـج الفضـاء الاسـلامي ويزدحـم بالخطـب التي تشـكل محوريتها العبـادات وخاصة الصـلاة: أجزائها، شرائطهـا، أركانها، ما تصح به ومـا لا تصـح، كيف تتم عمليـة إصلاح الخلل فيها؟ مـا هو فضلها؟ وعقوبـة تاركها؟ الالتزام بأدائهـا في أوقاتها. في ذات الوقت لم تحصل مبادئ الاخلاق، والقيم الروحية من الاهتمام في عين الخطاب إلا على مسـاحة لا تكاد تلحظ، فهي تقع عـلى الهامش من اهتمامات الخطيب الاسـلامي. أضحى مآل ذلك ان تولدت لدى الفرد المسـلم قناعات تظهر تشـوهاتها الفضيعة في سـلوكه، ربما يتعذر شـفاؤه منها، أقصته عن قيم الانسـانية، وأبعدته عن الحياة الروحية، يتجلّى ذلك بوضوح في اسـتعداده لبذل الأموال الطائلة في بناء المسـاجد والحسينيات لكنه ذاتـه يحجم عـن الانفاق لتكفـل يتيم مثـلا، أو تبني إرجـاع طفل إلى مقاعد الدراسـة بعد ان تسرب منها جرّاء فقر عائلته، أو اشـباع بطن تصـارع الجوع، أو دعم مشروع خيري ممكن أن ينقذ حياة انسـان، أو يساهم في التخفيف من آلامه، وغير ذلك.

صار المسلم يتقن صلاته لكنه لا يتورع عن الكذب، ويتم صيامه باجزائه وشرائطه، لكنه لا يؤتمن على المال العام، ويسعى سنويا إلى الحج، وهو ينضح حقدا، ويفيض كراهية وعداءً لمن يختلف معهم ومن لا يختلف أحيانا. حدث ذلك بعد أن لقّنه هذا الخطاب رسالة وإن كانت غير مباشرة مفادها إن صلاتك وعباداتك الأخرى فحسب هي التي تمثل جوهر الدين وروحه، وهي سبيل إحرازك رضا الله ووصولك إليه تعالى وفوزك برضوانه، ودخولك الجنة، أما الإيمان، والحياة الروحية، وقيم الاخلاق فمسألة هامشية، تأتي بدرجة ثالثة أو رابعة من حيث الاهمية، على خلاف ما أشار له النبي الكريم (ص) بقوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١٢]. إذ اعتبر الأخلاق هي السبيل الموصل الى السماء، وكل ما سواها كالعبادات وغيرها إنّما هي روافد تصب في نهر الأخلاق لتثريه وتديم تدفقه وحيويته، وقد أثرى القرآن هذه المسألة من أجل أن يكرّس الحالة الروحية عند الانسان المسلم، كما في قوله تعالى: «وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ ...» العنكبوت: ٤٥. فما تشريع الصلاة إلا لكي تنهى عن الفواحش والمنكرات، والتي تجسدها رذائل الاخلاق، وكذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾ البقرة: ١٨٣. والتقوى من أهم القيم الروحية التي تمنع الانسان وتنفره من ارتكاب الرذائل، وتدنيه كثيرا من التحلي بالفضائل، وحين يذكر

١٢- المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج٧، ص٣٤٧، ح٢.طهران: دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤هـ.

القـران الكريـم فريضـة الحج يتبعهـا بما يُتوقـع منها فيقـول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُوماتٌ فَمَنْ فَرَضَ فيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِـدالَ فِي الْحَجِّ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الـزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أولِي الْأَلْبـابِ﴾ البقرة : ١٩٧ . إذن فريضة الحج ترويض للمسـلم كي يتجنب مصفوفة من الاخلاق السـيئة، وبنفـس الوقت يتحلى بالاخلاق الايجابيـة الصالحة كالتقوى وفعل الخير، وكذلك ورد في شـعيرة الزكاة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَـةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِـمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَـكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَميعٌ عَليم.﴾ التوبة : ١٠٣ . فالغرض من الزكاة أن يتطهروا من كل رجس أخلاقي، ويتزكوا من كل رذيلة.

مراجعة سريعة لحركة الأنبياء في القران الكريم تكشـف ان البعد الاخلاقـي، والحياة الروحية تشـكلان المهمة العميقـة للأديان، وفي الصميم من حركتهم، والهدف الاسمى الذي كانوا يبشرون به. هذه بعض النماذج، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُـواْ النَّاسَ أَشْـيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْـدَ إِصْلاَحِهَـا ذَلِكُمْ خَـيْرٌ لَّكُـمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِـينَ ﴾ ٨٥ الأعراف، جـاءت الاخلاق بعـد التوحيد مباشرة في دعوة نبي الله شـعيب (ع) قومه، وهكذا مع دعوة لوط (ع): ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ٨٢ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُـونَ السَّـبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَـمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩٢﴾ العنكبوت، وكما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَّ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَذِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ٣٨ البقرة، ولم تكن دعوة نبينا محمد (ص) بعيدة عن هذا الهدف قال تعالى: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَولادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾١٥١الأنعام.

الخطاب الديني المعاصر أهمل تلك الأهداف التي تحكي مقاصد الشريعة، وروح الدين. ما يحتّم على الخطيب الديني، والحسيني ان يتبنى المنهج القرآني، ويضع المسألة الاخلاقية في سلّم أولوياته، تسير جنبا إلى جنب مع العبادات فلا يتقوّم أحدهما الا بالآخر معتبرا ذلك ضرورة تربوية تفضي إلى خلق فضاء اخلاقي حيث أن حاجة المجتمع لأخلاق الفرد لا تقاس بحاجته لعبادته فهذه الأخيرة له وحده هو ينتفع بها، يتسامى بها روحيا، ينال بها الزلفى، والانفتاح على الله تعالى، اما اخلاقه فتشرق كالشمس على الجميع، يغمر دفؤها القاصي والداني، الكل ينتفع بها. نبّه النبي الأكرم (ص) على ذلك في قوله: (لا تنظروا إلى كثرة صلاتهم وصومهم وكثرة الحج والمعروف وطنطنتهم

بالليل، ولكن انظروا إلى صدق الحديث وأداء الأمانة).[13]

٢- تناسى الخطيب الاسلامي في أحيان كثيرة مسألة الإيمان، وجوهر الدين، وتمّ يخوض في مسائل خير ما يقال عنها انها جزئية هامشية ليس لها أولوية في حاضر المجتمع أو مستقبله، ولا هي من صلب الدين، كالحديث عن جزئيات صفات الحور العين، أو الملائكة، وتفاصيل الحياة في الجنة أو في جهنم، كنت أستمع لأحدهم وهو يتحدث عن كيفية استقبال الحور العين والولدان المخلدين للإنسان الداخل إلى الجنة، وأعدادهم، ووصف التاج الذي يلبسه، ونوع الجواهر التي رُصّع بها، حقيقة لا أعرف من أين استقى تلك الصور المشينة والمثيرة اذ لم يفته ان يوصف حتى كيفية رقصهن وإغرائهن للوافد الجديد ليثرن فيه اللذة، حيث اختزل الجنة كلها بالأنس واللذة والرقص حسبما ورد في كلامه.!!! تجاهل الخطيب الديني إحياء الحالة الإيمانية، وتشييد العلاقة مع الله تعالى على أساس الحب، وحضوره تعالى في قلوب المؤمنين، وما يتبدّى عن ذلك من قيم روحية، ومبادئ إنسانية كالمحبة، والتسامح، وحب الخير للآخر، والرحمة، ونبذ العنف، وهو بذلك يستبدل اللباب بالقشور، والجوهر بالعرض، والمضمون بالشكل، ويرسل - من حيث يقصد أو لا يقصد- رسائل خاطئة لمستمعيه مفادها ان هذه العرضيات والشكليات هي التي تعبر عن حقيقة الدين وغايته، يكفي لغرض الوصول الى الله التمسك بها فحسب. فأضحى المجتمع بتأثير هذا النوع من الخطاب قشريّا، سطحيّ الوعي،

١٣- عيون أخبار الرضا:٢/ ٥١، أمالي الصدوق: ١٨٢، وروي الحديث أيضا عن اكثر من إمام من ائمة أهل البيت (ع).

ساذج الثقافة، تستهويه الخرافة، يعاني من خواء داخلي، يتهالك على التمسك بالظواهر، يؤمن بكل ما يطرق سمعه من أفكار مهما بلغت درجة سذاجتها. تمتلئ به المساجد في الجمعات والأعياد، ولكن السمة البارزة له التخلف والفساد.

٣- النظرة التبجيلية، التنزيهية، المبتنية على أساس الإيمان والتصديق المطلقين بكل ما يقوله الخطيب، والاعتقاد الشائع خطأً لدى غالبية عظمى من الناس، أن الخطيب إنما ينطق عن الله تعالى، فهو وكيله والناطق الرسمي بإسمه، وحلقة الوصل بينهم وبينه، والمتحدث نيابة عنه، الى حدّ ربما اعتقدوا ان الخطيب متميز عنهم حتى بالخلقة. روى لي أحد الخطباء عن عميد المنبر الحسيني المرحوم الشيخ أحمد الوائلي (تغمده الله برحمته) عن أحد المشايخ الذي كان يتردد على منطقة في وسط العراق يقول: رأيت يوما أحدهم يلاحقني باهتمام ويراقبني عند توجهي لقضاء الحاجة، فقلت له: ما تريد، وما حاجتك؟ قال: أريد أن أرى هل أنتم مثلنا؟ يعني هل أنكم تُحْدِثون مثل ما نُحدث، أم أن الامر بالنسبة اليكم مختلف؟!. وفي هذا السياق جاء من لا همَّ له سوى تحقيق مصالحه، وبسط نفوذه، للإستحواذ على السلطة، والقوة، والمال مكرّسا هذا الفهم الساذج في وعي الناس، ومؤكدا عليه ليفتح الباب على مصراعيه، وليصنع لنفسه حصانة في ان يقول ما يشاء مما لا يقبله عقل ولا منطق، ومما لا شاهد عليه من كتاب الله أو سنة النبي وأهل بيته الكرام (ع)، ويخوض في ما لا دراية له به ضامنا قبول الناس له، وعدم اعتراضهم عليه، بل إيمانهم المطلق بما يقول فضلا عن أن يفكر أحد بالمجازفة بنقده أو مسائلته. أذكر

بهـذا الصدد موقفا حصل معي شـخصيا وكنت حينها مدعوا لإحياء مجالس عاشـوراء في لبنـان، وفي ذات يوم جاء من يسـألني بكل رهبة وجديـة، وكان حاله كمن يمتلـك الجواب ولكنه يريد ان يطمئن قلبه فحسـب، قائلا: سـيدنا، انت حينما تكون على المنبر هل تسمع اصواتا لا نسـمعها نحـن، أو تـرى اشـخاصا لا نراهم؟ ولم يكن سـهلا ابدا اقناعه بعدم صحة ما سئل عنـه إذ كان يعتقد جازما حينها أني بصدد إخفاء الحقيقة عنه!

٤- ولـع الحالة العامـة للخطاب المنبري بلغـة التهديد، والوعيد، والتخويـف، والإرعـاب، والتركيـز عليهـا، فقـد أسـهبوا في ترويـع النـاس بتفاصيل عذاب القـبر والبرزخ بما لا حجة لهـم به، معتمدين عـلى روايات ضعيفة مهجـورة، وقصص خيالية من قبيل عظم حجم الحيات والعقارب التي سـتنهش لحم من يذنب ذنبا مهما كان صغيرا، وأنه يسـلط عليه انواع من العذاب لو سـلط على أهـل الدنيا لضجوا منه! كنت استمع لخطبة لأحدهم ينسب فيها لرسول الله (ص) حديثا لطالمـا ردده البعض على المنبر ما نصه: (من أعان تارك الصلاة بمثقال ملـح فكأنـما زنى بأمه الـف مرة، ومن أكل مع مـن لا يصلي كأنما قتل سـبعين نبيا، وكأنما زنى بسـبعين محصنـة من بناته، وأمهاتـه، وعماته، وخالاته في البيت الحرام، ومن تبسم في وجه تارك الصلاة فكأنما هدم البيت المعمور سبع مرات، وكأنما قتل الف ملك من الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسـلين، ثم أردف: يقول الكلب: الحمد لله الذي خلقني كلبـا ولم يخلقنـي خنزيـرا، ويقـول الخنزيـر: الحمـد لله الـذي خلقني خنزيرا ولم يخلقني كافرا، ويقول الكافر: الحمد لله الذي خلقني كافرا

ولم يخلقني منافقا، ويقول المنافق الحمد لله الذي خلقني منافقا ولم يخلقني تاركا للصلاة).

تجدر الإشارة هنا إلى أني لست بصدد التهوين من ترك الصلاة فلا شك انه ذنب ومعصية، ولا التبرير لتارك الصلاة فإنه مخالف لفرض من فروض الاسلام الأساسية، وركن من أركانه. كيف وهي عمود الدين؟ كما أني لا أقصد التشكيك في نية المتحدث، وأنه ينطلق من حرصه على تطبيق أحكام الشريعة، وتحفيز الناس على عدم ترك الفرض الالهي، وتذكيرهم بخطورة ذلك، كما سوف اتجاوز عرض ما نسبه المتحدث من قول إلى رسول الله (ص) على العقل بداهة أنه سوف لا يصمد أمام أدنى تأمل، وتدبر، ولكن لنعرضه على كتاب الله عز وجل، والسنة الصحيحة الثابتة لنبيه الكريم صلوات الله عليه، فمن الثابت قرآنيا أن الله تعالى لم يخلق حين يخلق البشر، مؤمنا، ولا كافرا، ولا منافقا، بل يخلق الناس كلهم على حالة واحدة، عبّر عنها في القرآن الكريم بالفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهَّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النور/ ٣٠ ، فحالات الكفر والإيمان والنفاق، إنما هي نتاج التربية والبيئة والثقافة، تتعاضد جميعها في صياغة هوية الإنسان وميوله، كما ورد عن رسول الله، وأهل بيته الكرام (ع) في حديث مشهور في مصادر المسلمين جميعا، قوله: ﴿ مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ

يُمَجِّسَانِهِ﴾[14]. ثم من جهة أخرى ألا يتعارض مضمون الحديث الذي يقرر أن الكلب والخنزير أفضل عند الله، وأكرم عليه من الكافر والمسلم تارك الصلاة، مع قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/ ٧٠ الذي تتجلى فيه أصدق، وأرفع معاني التكريم ليس لفئة خاصة بل مطلق بني آدم بكل تلوناتهم وتصنيفاتهم. يتضح من كل ما تقدم إن الحديث مخالف لكتاب الله وسنة النبي، وآل بيته الكرام عليهم سلام الله جميعا. هذا فضلا عن أن منطوق الحديث يوجب القول بالجبر، فإذا كان الله سبحانه يخلق الإنسان كافرا أو منافقا إذن ما هو المسوغ لمحاسبته، ما دام الأمر ليس باختياره؟. ناهيك عما يسببه هذا النوع من الأحاديث من قنوط، ويأس من رحمة الله وعفوه. قال تعالى: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحيم﴾ الزمر: ٥٣. وورد في الاثر عَنْ الامام عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) قَالَ: ﴿الْفَقِيهُ كُلُ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ.﴾[15].

يحسب اصحاب هذا النوع من الخطاب المحشو بالمبالغات والتهويلات أنهم بكثرة تهديدهم ووعيدهم إنما يكرسون الحالة

١٤- صحيح البخري. كتاب الجنائز. باب ما قيل في أولاد المشركين. حديث رقم: ١٣٣٠، وصحيح مسلم. كتاب القدر. حديث رقم: ٢٦٥٨، وسائر الصحاح والمسانيد، وكذلك تصحيح اعتقادات الإمامية. الشيخ المفيد: ص ٦٠، ٦٢، وغيرها من المصادر.

١٥- نهج البلاغة (للصبحي صالح)، ص٤٨٣.

الروحيـة، ويثـرون الحيـاة الأخلاقيـة، ولم يدركـوا أنهـم بذلـك إنـما يخرجون الله من قلوب الناس ليرسـخوا مكانه الكراهيات، ويفشـوا فيه التعصبات. متناسـين ان ذلك انما يسـهم اسـهاما مباشرا في تشويه صـورة الله الرحمن الرحيم عند المسـلم، اضافـة إلى تأزيم علاقته بربه وخلق طاعة لله تعالى قائمة على أسـاس الرعب منه لا محبته، والخوف من قسوته لا رجاء رحمته.

نعم الخوف مع الرجاء هما أحد الخطوط المتقابلة في نفس الانسان المؤمن تنظمان مسألة الطاعة لله عزّ وجل، ولكنه أي خوف؟ إنه خوف الحب لا خوف الرعب وشتان بينهما، خوف من يحرص أشد الحرص أن لا يشـهد منه حبيبه ما يسـوؤه، لاخوف من يتوعدك أن يظفر بك وانـت في أضعـف حالاتك، اعـزل لا حول لك ولا قـوة، وهو جبار السـماوات والأرض، الرحمن الرحيم، القوي القـادر، الغني الودود، ليصـب عليك جام غضبه فيذيقـك أصنافا من العذاب لا تحتمل، كما لا تتناسـب ومقـام الربوبية بما يتحـلى به من صفات الرحمة والشـفقة واللطـف! لكـم أن تتصوروا حجـم الخوف والقلق الـذي يصاب به الكبار فضلا عن الأطفال وهم يسـتمعون الى هذا الخطاب الترهيبي، الموغل في القسـوة في سـنيهم الأولى، الخطاب الذي يبني فردا خائفا، مترددا في حاضره، ومهزوزا، مهزوما في مستقبله.

أنهـك هذا الخطاب المفرغ من المعنوية أرواحنا، واسـتنزف قلوبنا، وعمل على رسـم صورة مفزعة لله تؤدي إلى الغرق في القنوط والقلق والخـوف، وكأن الإنسـان المؤمـن في معركة مزمنة مع الله فـ (ليسـت

المهمـة الأصلية للأديان رسـم صـورة مرعبة لرب العالمـين، وتحويل صـورة العالَمين - الدنيا والآخرة- إلى سـجون أبديـة ووضع الكائن البشري في قلق متواصل، وزرع الخوف في قلب الإنسـان مما سـيفضي إليه مصيره في القبر وعذابه، وجحيم العالم الآخر)[١٦].

اراد الله تعـالى ان تكـون علاقـة المؤمن به مشـيدة على أسـاس من المحبـة وحسـن الظن ﴿... يُحِبُّهُـمْ وَ يُحِبُّونَهُ ...﴾ المائـدة: ٥٤. وقوله تعـالى: ﴿... وَالَّذيـنَ آمَنُوا أَشَـدُّ حُبًّـا للهِ ...﴾ البقـرة: ١٦٥. وعمل ايضـا هذا الخطاب المأزوم على تفريغ الدِين من قيمه الروحية كمحبة جميع الناس، وحب الخير لهم، والتوق إلى الجمال، والرحمة، والتسامح، ليحل محلها القبح، والكراهية، والاحقاد، والعداوات، وسوء الخلق.

٥- يراهـن كثـير مـن الخطبـاء - من الذيـن أصبحـوا نجوما على الفضائيـات- على مـا يدره خطابهم الطائفي المأزوم المتسـخ بسـباب الاخر، والنيل من مقدسـاته، ولعن رموزه، من الشـهرة والمال اضافة إلى السلطة الروحية بأيسر الطرق وأقلها جهدا وهؤلاء عادة ليس لهم حـظ من التحصيل العلمي الجـاد، ولم يتحلوا بثقافة عامة، فصار هذا الخطاب بضاعتهم الرائجة في مجتمعاتنا الاسلامية في السنين الاخيرة. مخالفـين بذلـك سـيرة النبـي وآلـه الكـرام (ع)، ضاربين بهـا عرض الجدار، فقد ورد عن الإمام الرضا (ع) وقد سأله ابن أبي محمود: يا بن رسـول الله، إن عندنـا أخبارا في فضائل أمـير المؤمنين (ع)، وفضلكم أهـل البيت، وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم، أفندين

١٦- د. عبد الجبار الرفاعي، مصدر سابق ص١٨٠.

بها؟ فقال: يا بن أبي محمود، لقد أخبرني أبي عن أبيه عن جده (ع) أن رسول الله (ص) قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله عزّ وجلّ فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس، ثم قال الرضا (ع): يا بن أبي محمود، إن مخالفينا وضعوا أخبارا في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو، وثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام/ ١٠٨. يابن أبي محمود إذا أخَذ الناس يمينا وشمالا فالزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يُخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة، ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه. يابن أبي محمود، احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة [١٧].

يلاحظ أن السمة البارزة لهذا الخطاب هي العدوانية تجاه الاخر المذهبي أو الديني مفترضا على الدوام وجود عدو، وخصم لابد من مواجهته، «وعادة ما تتلفع هذه الخطابات بغطاء، يصاغ عبر شعارات استنهاض واستغاثة تثير المشاعر، وتوقد العواطف، وتحرض على الانخراط في عداوات وحروب باسم الله» [١٨]،

١٧- عيون أخبار الرضا، ص١٦٨.

١٨- د. عبد الجبار الرفاعي، نفس المصدر،ص١٨٠. بتصرف.

والعقيـدة. مـا خلـق شرخـا في الأمة يتعـذر رتقه في الأمـد المنظور، ورسـم حواجز منيعة بين إنسان وآخر سـواءً بين المسلمين أنفسهم، أو بينهـم وبـين الآخرين. اضافة إلى زعزعة ونسـف أسـس العيش المشـترك، كان أحدهـم في خطبة عامة تبث عـلى الفضاء يعتبر طائفة من البـشر (الكرد) قوما من الجن يكره التزويـج منهم! معتمدا على مرويـات ضعيفـة لم يُقم لها العلـماء المتخصصون وزنـا، إذ بناءً عليه يلـزم عدم تكليفهم كتكليف الإنس! أسـوق ذلك على سـبيل المثال وإلّا فالشواهد أكثر من أن تحصى.

٦- أحد الأسـباب الهامـة لابتعاد الخطاب الديني والحسـيني عن التأثير في إصلاح المجتمع خضوعه غالبا لنمطين يطغيان عليه فهو:

إمـا خطاب تبجيلي، تنزيهـي، تمجيدي، تزلفي، يُقـرّ الناس على اخطائهـم بل يمتدحهم عليها إرضـاءً ومداراة لهم.. يبتعد الخطيب فيه عن كل ما يجعلهم يسـتاؤون منه، وبالتالي ينفضون عنه، يخشـى مواجهتهـم، وممارسـة نقدهم في حـال جانبوا الاعتـدال في تمثلات الدين وتطبيقاته، لا يؤشر على عاداتهم السـيئة وممارساتهم الخاطئة، وشـعائرهم الدخيلـة بل هو مواضـب على كيل المديـح لهم، وانهم الافضل من بين الامم على ما هم عليه من أخطاء، أو جهل وتخلف، وانهـم الناجون الوحيدون يوم القيامة، وما خلقت الجنة الا لهم! لا لأنهم يعملون الصالحات بل لأن «أجسـادهم فيها شيء من اجساد أئمـة آل البيت، إذ تتغذى على ثمارٍ بدورها تغذت على أجسـاد أئمة أهـل البيـت!»، وأن كل شيء فيهم مختلف عن غيرهـم، ألا ينظرون

إلى طيـب ريحهـم؟! ألا ينظـرون إلى مناخهـم فإنه حـار في الصيف بـارد في الشـتاء!! هكـذا كان يخاطبهـم أحـد الخطبـاء. لا أدري بمَ يمتـاز المناخ الـذي ذكره عن غيره؟ فهل هناك مناخ بارد في الصيف حار في الشتاء كيما نعتبر ان الله قد ميزنا على غيرنا بذلك؟! ويستمر بإسـلوب التبجيل: أطيب الثمار بالعالم ثماركم، أطيب اللحوم لحوم أغنامكم، ولكن كل هذا لا يكفي، فاختتم حديثه بقوله: أنتم في كل شيء أطيـب!» أترك للقارئ اللبيب تقديـر مدى خطورة هذا النوع من الخطاب على مجتمع يعاني تفشي الكثير من الامراض والعاهات المزمنة جراء السياسـات الظالمـة للأنظمة الاسـتبدادية التي توالت عـلى حكمه منذ عقود مـن الزمن، علاوة على الحـروب والأزمات التي انهكته على اكثر من صعيد.

ولّـد هذا النمط مـن الخطاب حالة من الزهـو والرضا عن الذات يمتنع معها ان يفكر الانسـان بحاجته إلى إصلاح منظومته السـلوكية والفكرية، فضلا عن المبادرة بالإصلاح، ناهيك عن حالة التعالي على الاخـر وازدرائـه. يحصل ذلك في وقـت احوج ما يكـون مجتمعنا لمن يصارحه بمشـاكله المعرفية والثقافية، وأمراضه الروحية والأخلاقية، ويمارس نقده في بعض أنماط حياته وعاداته. ما أحوج مجتمعنا إلى من يحمـل مشرطا كمـشرط الجراح ليزيل الكثير مـن الأورام الخبيثة التي انتشرت في جسـده فأنهكته وأضعفـت مناعته لدرجة أصبح يقبل كل ماهـو غـث وسـاذج، ولا يميز بين ما يـضره وينفعه، بين مـن يريد به سـوءا ومن يبتغي له رفعة وسموا. أقول ذلك مدركاً ضرورة تعضيد الحالة النفسـية لأفراد المجتمع، وتأكيد ثقتهم بأنفسـهم والتركيز على

النقاط المضيئة التي يتحلون بها.

مقابل هذا الخطاب هناك خطاب توبيخي، مغرق بالتقريع والانتقاد اللاذع الهدام، والطرق المستمر على الرؤوس، واستخدام عبارات قاسية محبطة، غير محفزة خصوصا حين يكون الخطاب موجه لشريحتي الشباب، والنساء الذين يعيشون فضاءً خاصا لا يمكن تهذيبهم والتأثير عليهم بهذه اللغة مما يؤدي الى نفورهم من الخطاب الحسيني وسائر مخرجاته.

٧- ظاهرة الازدواجية. اذ يرصد المستمع مفارقات مزعجة، وتناقضات منفرة عند بعض الخطباء، خلقت بين المتلقي والخطاب الديني عموما هوّة سحيقة. حين يجلس الخطيب ساعة من الزمن يتحدث فيها عن مفهوم ديني معين وما ان ينتهي من خطابه حتى يمارس خلاف ما تحدث به تماما، بل ربما كان الأسرع إلى مخالفته، فكان من الطبيعي والحال هذه ان يزدري الناس هذا الخطاب، وأصحابه، وينفكوا عنه. كيف وهو قد نصب نفسه للناس إماما وواعظا. فهو يعالجهم ببصاقه وبالادعية والأوراد ولكنه يقصد عواصم الغرب حال حاجته للعلاج، أو يكلمهم عن الزهد والتقشف في الحياة، ولكنه من اشد الناس تكالبا وحرصا على الدنيا وملذاتها، أو يحثهم على أخلاق التسامح والعفو، وهو من أكثر الناس ضيقا مع من يختلف معه، أو يحث شباب المسلمين على ما يدعونه (الجهاد ضد الكفار) وهو يرسل أبنائه إلى (الكفار) ليزاولوا اتمام دراساتهم في ارقى جامعاتهم.

«الإنسان بطبيعته لا يهتدي إيمانيا إلا بالقدوة العملية الملهمة، تلك القدوة التي تسقيه الارتواء الروحي، وتمنحه السلام النفسي، وتغمره بالرأفة والشفقة، كي تخلصه من الاغتراب، وتشعره بالحماية والأمن في الحياة. الناس كي يؤمنوا، يفتشون دائما عن نموذج بشري مجسّد للإيمان... يحتاجون إلى من يشعرهم بوجود الله في حياتهم، لا من يثبت لهم وجوده كفكرة مجردة لا صلة لها بحياتهم»[١٩].

٨- واحد من أهم الأسباب التي جعلت الخطاب الديني يفرّط بتأثيره في نفوس مريديه، ويخسر من قاعدته الكثير، هو انشغاله بالأوامر والنواهي المتعالية على الواقع، والتي يتعذر تحققها لتنافيها مع الطبيعة البشرية، كالنهي عما يدور في صدر الكائن البشري من خلجات لا سلطة له عليها كالحسد وسوء الظن وغيرهما، وما ذلك الا نتيجة القراءة الخاطئة للنص الديني المحذر، والناهي عن هذه الصفات النفسية، والخلجات الجوانية، اذ لا يتسنى للناس بحكم بشريتهم ان يتحكموا بما يعتمل في نفوسهم بحيث لا يسيؤون ظنا ولا يحسدون أحدا، نعم النهي الحقيقي إنما ورد عن ترتيب الاثر على الحسد أو سوء الظن، وأن تتحول تلك المشاعر السلبية إلى مواقف عدوانية، ورد عن النبي (ص) كما في حديث الرفع المشهور، قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ص): «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تِسْعَةٌ الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا أُكْرِهُوا عَلَيْهِ وَمَا لَاَ يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَعْلَمُونَ وَمَا اضْطُرُّوا إليه وَالْحَسَدُ وَالطِّيَرَةُ

١٩- د. عبد الجبار الرفاعي، مصدر سابق ص٨٨.

وَالتَّفَكُّرُ فِي الْوَسْوَسَةِ فِي الْخَلْقِ مَا لَمْ يَنْطِقْ بِشَفَةٍ.»[٢٠]، وقوله (ص): «إذا ظننتم فلا تُحققوا، وإذا حسدتم فلا تبغوا، وإذا تطيرتم فامضوا؛ وعلى الله فتوكلوا»[٢١].

وربما كانت المشكلة عند بعض الخطباء والدعاة الدينيين في فقه النص سواءً كان آية قرآنية أو رواية وعدم القدرة على تفكيكه، وقراءته قراءة معاصرة منسجمة مع ظروف الاستشهاد به مما يسبب إرباكا لدى المتلقي يستحثه كي يتخذ موقفا سلبيا من الخطاب الديني عامة. كنت استمع إلى خطيب في دولة أوربية فذكر الحديث المشهور في كتب المسلمين عن النبي (ص) أنه قال: «لا تسلموا على تارك الصلاة ولا تجيبوا سلامه، ولا تسمحوا له، واذا مرض لا تعودوه»[٢٢]، ولم يدر في خلده أن هذا النوع من الخطاب يخلق فضاءً متناشزا مع الاهداف التي يسعى إليها، وبناءً عليه كيف بإمكانه أن يمارس مهمته التبليغية ويحقق النجاح بها وهو يعرض عن إلقاء السلام على غالبية الشباب الذين لم يتلقوا تعليما كافيا على أهمية العبادات ووجوبها على الفرد المسلم؟ ولم يلتفت إلى أنه لم يقدّر ظروف هؤلاء الشباب وكونهم يعيشون في مجتمع غير منسجم معهم دينياً، ثم كيف يتوقع أن يستجيبوا إلى وعظه ونصحه، ويتأثروا به

٢٠- الصدوق، التوحيد،.ابن بابويه الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، باب الاستطاعة، ص٣٥٣، ح٢٤، قم: جماعة المدرسين، ط١، ١٣٩٨هـ.

٢١- شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١٩ ص٣٧٤.

٢٢- جزاء الاعمال، ج٢ ص٨-١٨.

وهو يكف عن السـلام عليهم؟ ثم ألا يترك هذا التصرف (الامتناع عن السـلام على تارك الصلاة) انطباعا سلبيا عن رجل الدين وربما عن الدين برمته عند هؤلاء الشـباب الذين من المفترض أن يكونوا هم هدف المبلغ الديني ومَن يجهد لهدايتهم؟.

٩- مـن الأسـباب العميقـة التـي دعـت كثـيراً مـن جمهـور المنبر الحسـيني أن ينفـض عنـه، ويهجـره هـي «القـراءة الفاشـية للنـص الدينـي»[٢٣]، وتوجيهه باتجاه الحث على العنـف، والاعتداء على كرامة الكائـن البشري، وإهدار إنسـانيته. أضف الى اتّـكاء كثير من الخطباء عـلى مرويات ضعيفة، ونصوص شـاذة مهجـورة، وقصص خرافية، ومنامـات، وجعلهـا رأس مالهـم، ومادتهـم الأساسـية، بـلا رصيـد علمـي، ولا مخزون ثقـافي روحـي. لا يمتلكـون اضـاءة يمكـن أن يقدموهـا لمريديهـم، عاجـزون عن التفلت من شـباك الأميـة العلمية والثقافيـة. فكيف لمـن يثمن عقلـه ويحترمه أن يواظـب على الحضور والاسـتماع لمن يحوله إلى إنسـان كاره لكل ما هو جميل في الحياة، حاقد على الناس، مبغض لكل ما هو مبهج ومفرح. أو يُغرق وعيه بالخرافة، والطرهـات، اضافة إلى رثاثة اللغة وسـماجتها. اسـتمعت إلى أحدهم يقرء آيات القرآن بالورقة خطأ ويلحن بها!.

بلـغ فقر هـذا الخطاب وضحالتـه، واتكاؤه على مـا لا يقبله عقل عاقـل حـدا جعل المعنيـين يبحثون عن عـلاج لهذا الـتردّي، ومحاولة إصلاح هذا الكم الهائل من التدهور. ورد في سـؤال موجه إلى سماحة

٢٣- نحت هذا المصطلح واعتمده في كتاباته المفكر الدكتور عبد الجبار الرفاعي.

العلامة الخطيب السيد منير الخباز[٢٤] « كثُر مؤخراً اتكاء بعض الخطباء على قصص الأحلام والرؤى في الطرح المنبري، بحيث أصبح أمراً مشاعاً ومتداولاً، كيف تقيمون هذه الحالة؟». يجيب: « إنّ المنهج الصحيح هو المنهج العقلاني، وهو عبارة عن ربط عقل المستمع بالبراهين العقلية، التي تعتمد على الأساليب والطرق العلمية في الاستدلال وصحة القضايا الفكرية، أما الرؤى والأحلام والقصص التي لم ترد عن علماء موثوقين، فإن عرضها على المنبر يؤدي إلى ربط الجماهير بمفاهيم لا وثوق بها، ولا مستند لتصحيحها، وبالتالي قد يؤدي بنا حتى إلى ربط العقائد بمثل هذه الطرق غير العقلائية، لذلك نشأت لدينا بعض الفرق التي تستقي عقائدها من الأحلام والقصص والاستخارة وما أشبه ذلك، وهذا منزلقٌ خطير، قد يسهم به الخطيب من حيث لا يشعر » [٢٥].

١١- امتناع كثير من طلبة العلم الديني ممن نالوا تحصيلا علميا كافيا، ويتحلون بثقافة تؤهلهم لممارسة مهمة التبليغ والتوعية، عن أخذ دورهم في الوعظ والإرشاد الديني خشية أن يخسروا من رصيدهم المعنوي ورمزيتهم في الأروقة العلمية حين يصنف أحدهم خطيبا! فكان من الطبيعي ان يشغل المخرفون، وأنصاف المتعلمين، والفاشلون في دراستهم مساحات واسعة من خريطة المنبر الحسيني يبثون من خلالها جهلا وتخلفا. تناسى اولئك المنزوون من طلبة العلم

٢٤- خطيب حجازي مقرب من مرجعية السيد السيستاني الكريمة.

٢٥- شبكة المنير حاوره: حسين العابد - مجلة صوت الحسين - العدد السابع محرم ١٤٣٦هـ ١٤ / ٢ / ٢٠١٥م.

ان الغرض الأساس من دراستهم إنما هو التوعية والهداية، حسبما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢ التوبة)، وان (مَا أَخَذَ اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْجَاهِلِ أَنْ يَتَعَلَّمَ حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُعَلِّمَ) كما عن امير المؤمنين (ع)[٢٦]. ثم ألم يرد عن أمير المؤمنين في وصف رسول الله (ص) أنه (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ)[٢٧]؟ ألم يمارس أئمة أهل البيت (ع) الوعظ والارشاد ويتصدوا الى نشر الوعي في الأمة حتى خلفوا لنا كمّاً غير قليل من تراثهم مما يصنف في المواعظ والإرشادات؟.

١٢- إقصاء العلوم الانسانية، كعلم النفس والاجتماع والتربية، وعلوم الألسنيات، من اهتمامات طلبة العلوم الدينية والمشتغلين في حقول التبليغ الديني خاصة، وعدم منحها الاعتبار الذي تستحقه في عملية التنمية المجتمعية ما أدى الى الجهل بطرق التأثير على المستمعين ودراسة حالاتهم الشعورية والنفسية، وفهم قدراتهم الذهنية، وتذليل المعوقات التي تعترض سبيل تقدم المجتمع وتخطيها، خصوصا وان مجتمعاتنا تعصف بها ازمات سببت اختلال منظومتها النفسية والاخلاقية. كل ذلك ترك فجوة بين الخطاب والمخاطبين.

١٣- طرح المفاهيم التربوية بصورة مطاطية، هلامية، متداخلة،

٢٦- غرر الحكم ودرر الكلم - ١٣٨

٢٧- نهج البلاغة، خطبة ١٠٨

مشوشة. لم يتم وضع معايير أو قواعد وقوانين يمكن تطبيقها لتحديد أطر هذه المفاهيم الاخلاقية التهذيبية أو رسم الخطوط والحدود الفاصلة بين تلك المفاهيم مما أضر كثيرا بمقاصد الخطاب الديني التربوي. مثالا على ذلك مفهومي الدنيا، والاخرة، فتارة نجد خطابا يعتبر ان الاسلام يهجو الدنيا ويأمر بتركها وأنها رأس كل خطيئة ويأمر بالاهتمام بالاخرة فحسب، وتارة نستمع إلى من يدعو الى عمارة الدنيا وأنها مزرعة الاخرة، وإن علينا ان نكتشف كل مصادر القوة فيها من مال وجاه وعزة الخ، واستثمارها والاستفادة منها في الخير والاصلاح. هنا يقع المستمع في حيرة من أمره، أي طريق يسلك؟ ولأي رأي يستمع؟. ومن أمثلة المفاهيم المتداخلة:

التداخل بين الغنى، والفقر.

بين الغيب، والشهود.

بين الجبر، والتفويض.

بين التوكل، والتواكل.

بين الكسل، والاعتماد على الله.

بين الشفاعة، والعمل.

بين الخيرة، وإلغاء دور العقل.

بين الزهد، والخمول.

بين انتظار الفرج، والهروب من المسؤولية.[28]

١٤- تركيز الخطاب المنبري في الغالب على البعد المناقبي في تناوله لسيرة النبي (ص)، وأهل بيته الكرام (ع)، وما قرّضهم به القران الكريم والسنة المطهرة، وإغفال البعد الإنساني والأخلاقي الذي تستبطنه تلك المناقب والفضائل، إضافة الى إسباغ صفات فوق بشرية عليهم ما حوّل محبتهم العملية التي من المفترض أن تكرس الحياة الروحية والاخلاقية في السلوك حوّلها الى عواطف واحاسيس مجردة، وادعاءات وشعارات فارغة، بعد أن أقصاهم هذا الطرح عن موقع الأسوة، وسلب عنهم سلام الله عليهم امكانية الاقتداء والتاثر بهديهم، ومحاكاة وتقليد سلوكهم. مثال على ما مر، قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الإنسان: ٨و٩، فلطالما تناولت القراءة المنبرية هذه الايات من منطلق كونها منقبة وفضيلة لاهل البيت (ع) فحسب مشيدة بفضلهم ومكانتهم عند الله، ولكنها أشاحت بوجهها، وغفلت عن بعد آخر لا يقل أهمية، فضلا عن كونه أساس الدين أعني به البعد الإنساني والأخلاقي، ذلك ان هذا الموقف من أهل البيت مشحون بالمُثُل والقيم الاخلاقية فهم بالاضافة الى انهم آثروا الآخرين على أنفسهم لم يختصوا الفقير المسلم بالصدقة وفعل الخير بل غير المسلم (الأسير) أيضا. يجدر بالذكر أن القاسم المشترك بين الكثير من آيات القرآن التي وردت تشيد باهل البيت وتشير الى فضلهم هو البعد القيمي والاخلاقي. خذ

٢٨- مسودة لانشاء مركز متخصص للدراسات الاخلاقية والنفسية ص٣٣.

على سبيل المثال إضافة للآيات الآنفة الذكر، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة: ٥٥، فالفضيلة في الآية الكريمة تتجلى بعدم تحمل الإمام أمير المؤمنين (ع) أن يرى فقيراً متسوّلا وهو قادر أن يمدّ له يد العون. فلم يمهله الى أن يتم صلاته بل بادر بالتصدق وهو في حال الصلاة، ومثله ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩، وغيرها من الآيات.

تداعيات إخفاق المنبر الحسيني

لم تكـن حالة الاخفاق والتراجع في الخطـاب المنبري لتمرّ دون ان تكون لها مآلات سلبية خطيرة، تنعكس بوضوح على الفرد والمجتمع، وعلى صعد مختلفة، منها:

ألف: الصعيد الروحي.

حيـث لم يتمكـن الخطاب الحسـيني الحالي أن يثري أفـراد المجتمع روحيـا عـبر تشـييد الايـمان بـالله تعـالى في نفوسـهم بحيـث يجعلهم يتجـاوزون حالـة التصحـر الروحـي التـي تتجلى بوضوح في قسـوة القلب، وضمور القيم الروحية كالمحبة والرحمة والانسانية والتسامح. يبرز ذلك جليّاً في سـلوك الافراد لاسـيما في حالات الاختلاف. هذا مـن جانـب ومن جانـب اخر نلاحـظ تفـشّي الازمات النفسـية التي تترجم الى قلق، واضطراب، وخوف من المسـتقبل، وتردد في المبادرة، وتوتر، واكتئاب، ناهيـك عن انعكاس ذلك على الاخلاق وما يفرزه من عقد نفسية تبرز على شكل تعصب وتكبر وميل الى العنف وسرعة الغضب، فتفشت تبعا لذلك ثقافة العلاج بالسحر والعرافة والشعوذة للحصول على الراحة النفسـية، أو من سـلك جادة الالحاد والتقاطع مـع الايمان واتخاذ موقف سـلبيّ من الدين. يشي الواقع باتسـاع هذه الظواهر في الاونة الاخيرة.

بـاء: الصعيد الفكري والعقلي.

النتيجـة الطبيعيـة لـتردّي مسـتوى المنـبر الحسـيني أن يفـرز تردّيا

في المـزاج العـام لجمهـور هذا المنـبر. لذا تجـد أن الحالة الغالبـة لافراد الاجتـماع الاسـلامي والنسـبة العظمـى منهـم منحوا عقولهـم إجازة فهي في سـبات عميق لا يسـتنيرون بها في مواجهة الازمات والمخاطر التي تعترضهم، ولا يسـتعينون بها في حل مشاكلهم الحياتية بمختلف تبدياتهـا، كـما يعطلـون دور العقل في تدبير شـؤونهم، ونظم أمورهم، او التخطيـط لمـا يصلحهم. فتضخمت العاطفة واسـتشرت، وتمكنت مـن ازاحة العقل.. اسـتحوذت على دوره.. صـار عليها المعوّل في كل ذلك.. اتكلوا على مخرجاتها بصور شـتّى، بالاسـتخارة تارة ، جاعليها في مقابـل العقـل، متقدمـة عليه، وليسـت هـي في واقعهـا كذلك، فما هـي إلا دعـاء.. مؤداها طلب الهداية الى الخـير من الله تعالى كما ورد في الروايات، وعلاقتها بالعقل طولية وليسـت عرضية. روى لنا استاذنا سـماحة اية الله السـيد عادل العلوي عن اسـتاذه المرجع الراحل السيد المرعـشي النجفـي (رحمـه الله) رأيه في الاسـتخارة خلاصتـه: لابد أن تسـبق مرحلة الاستخارة مرحلتان يلزم المرور بهما كي يصل الدور الى الاسـتخارة، المرحلـة الاولى: التفكير بالعمل ودراسـته. فاذا رجحت كفة الايجابيات على السـلبيات او العكس فلا مبرر حينئذٍ للاستخارة، وان لم ترجح عنده كفة على اخرى تاتي المرحلة الثانية: وهي الاستشارة من ذوي الرأي والنصح، كما يصرح السيد السيستاني (حفظه الله تعالى) بذلك ايضـا ٢٩، فإن رجحت عنده كفة على اخرى فذاك وإلا فينتقل الى الاسـتخارة. وبذلك نعطي للعقـل دوره ولا نصادر قيمته ومكانته التـي ارادهـا الله سـبحانه حـين وهبـه للانسـان؛ خلافا لما هو سـائد. وبالاحلام تارة مسـتعينين بها على تدبير امورهم، وإدارة شؤونهم، بل

29- موقع مرجعية السيد السيستاني 0310/ https: //www.sistani.org /arabic /qa/

وبناء اعتقاداتهم وتأسيس أحكامهم الدينية، على حساب العمل وفق الاسباب الطبيعية معرضين عما تسعى له الايات القرانية والاحاديث الصحيحة من خَلْق وعي، وبصيرة، وهي تحث وتؤكد على البحث والدراسة، والسير وفق الاسباب ، واستخدام العقل ونظم الامر، لبلوغ الاهداف، وتحقيق النتائج الإيجابية قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٣٨) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٤٨) فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ (سورة الكهف)، وورد عن الإمام جعفر الصادق (ع) قوله: «أبى اللهّ أن يجري الأشياء إلاّ بأسبابها ، فجعل لكلّ شيء سبباً» ٣٠. معرضين عن معرفة جنود العقل لتبنيها والتزامها، وجنود الجهل لتركها والاعراض عنها، فراجت بضاعة الشعوذة والدجل وبيع الوهم ما جعل علماء الدين، والمراجع يتدخلون بقوة للتنبيه على انحراف هذه المسارات وخطورة مخرجاتها، ففي استفتاء قدّم لاحد مراجع الدين الكرام في النجف الاشرف حول ظاهرة «ادعاء البعض ان لديهم مايسمونه (نور) أي أن لديهم الاتصال في اليقظة والمنام مع أحد الأئمة المعصومين عليهم السلام، ويدعون معرفة وكشف المغيبات عن طريق اتصالهم بالأئمة عليهم السلام. ما هو رأي سماحتكم؟ وهل للجانّ علاقة بذلك؟ فأجاب: يحزّ في النفس انتشار أمثال هذه الدعاوى بسبب قلة المرشدين من أهل العلم والتقوى والرشد وحسن التصرف. وجواباً على سؤالكم نقول:

أولاً: ليس لقضية النور المدعى أساس شرعي ولم يرد عن المعصومين عليهم السلام ما يشير إليه. بل إنّ الأمر إما أن يبتني على الدجل

٣٠- الكافي، الشيخ الكليني: ج١، كتاب الحجّة ، باب معرفة الإمام والردّ عليه ، ح٧، ص١٨٣

والافتراء، تضليلاً للعامة واستغلالاً لهـم، وإما أن يكون من وحي الجن والشياطين لمن يسيطرون عليه من ضعاف الدين والعقل.

وثانيـاً: الاتصـال بالأئمـة عليهم السـلام باليقظة مرفوض أشـد الرفـض، ومدّعيـه ضعيـف العقل مخـرف، أو مبـدع مضلل يجب الحذر منه، بل رفضه والإنكار عليه مهما كان مقامه بين الناس.

وثالثـاً: الاتصـال بالأئمة عليهم السـلام في المنـام لا يعرفه إلاّ من عـرف صورهـم الحقيقية، ونظر إلى وجوههـم الشريفة في اليقظة. إلا ان الرؤيـا ليسـت حجة شرعيـة ولا يجوز التعويـل عليها مهما كان مدّعيهـا... ولا ينبغـي الاغـترار بصدق بعـض أخبار هؤلاء _المدّعـين_، إذ كثيراً مـا تلعب الصدف دورها، كما قد يبتني ذلك على التمويه والتدجيل، أو على وحي الجن والشياطين إلى أوليائهم لـصرف قلوب الناس إليهم وتضليلهم بهـم. وعلى كل حال يحرم شرعـاً القبول منهـم وتصديقهـم والاعتقاد بما يقولـون، بل يلزم الحـذر منهـم والإعـراض عنهم، حتى يشـعروا بكسـاد سـوقهم وخـسران تجارتهم وضحالتهم في المجتمع. ويكفي شـاهداً على ما قلنـاه، أنه لم تسـبق أمثال هـذه الدعاوى من أعاظم علماء الشـيعة وذوي المقـام الرفيـع منهـم، ممن عرفـوا بالعلم الوفـير والإحاطة بالضوابـط الدينيـة والعقـل الراجـح والرزانـة في الأمور وشـدة الخوف من الله تعالى. ونسأله سبحانه حسن العاقبة»[٣١].

٣١- المرجع هـو سـماحة السـيد محمـد سـعيد الحكيـم حفظـه الله. صحيفـة صـدى المهـدي الالكترونيـة. يصدرهـا مركز الدراسـات التخصصية في الامام المهدي العدد: ٣٩/ شـعبان/ ١٤٣٣هـ المصادف ١٦/ ١٢/ ٢٠١٢.

الخطاب الحسيني المعاصر في اغلبه وصاحب الصوت المرتفع منه أغرق وعي الجماهير بالخرافة وثقافة الاحلام وأقصى دور العقل لحساب العاطفة. حوّل التوكل الى تواكل سلبي. خطاب يلقن الناس ان قدرهم مرسوم في السماء وليس لهم دور في صناعة واقعهم والتأثير فيه معتمدين على قراءات خاطئة للنص القراني او السنة كاستدلالهم بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٣٦ الاحزاب) وكأن الانسان كتلة مهملة او ورقة في مهب الريح ليس له الا التسليم لما قدر له.

جيم: الصعيد الأخلاقي.

انشغل كثير من الخطاب الحسيني بالتهييج الطائفي، والاستغراق بالخلافات المذهبية، والاهتمام بأمور هامشية عن المباشرة في نقد ظاهرة تفشي سوء الخلق، وتكريس القيم الاخلاقية، وبقاؤها خارج الاهتمام والاولوية.

لم تعد الازمة الاخلاقية (الطارئة) التي تعاني منها مجتمعاتنا خافية على احد رغم مئات بل الاف خطب الوعظ والارشاد التي تطرق مسامع الناس لكنها لم تمنع من تفشي الرذائل الخلقية كالرشوة، والظلم، والاعتداء، والغش، وغياب ثقافة التسامح، واللجوء الى العنف مع اول اختلاف، وانحسار الحس الانساني، وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الاخرين، واتهام البرئ، وسوء الظن، وغير ذلك مما اصبح يثقل كاهل مجتمعاتنا بعد ان مرت بظروف صعبة ومعاناة طويلة تحت نير الاستبداد، وما افرزه من حروب واضطهاد وخوف

وتجويـع ادى الى تزلزل الصرح القيمي الاخلاقـي، وانهيار منظومته، ما جعل مجتمعاتنا تتصدر قائمة المجتمعات الاكثر فسـادا. مع التاكيد ان ذلك لم يكن ليحصل لولا الظروف الاستثنائية والازمات المتعاقبة التي ابتليت بها هذه المجتمعات.

دال: الصعيد الاجتماعي.

لم يسـهم الخطـاب الحسـيني مسـاهمة فاعلـة بمعالجـة الازمـات الاجتماعية التي يعانيها الاجتماع الاسلامي. بدءا من القطيعة بين جيل الآباء والابناء، وعدم مد جسـور التواصـل بينهما ما ضاعف حالات النفور والتمرد لدى الشباب على آبائهم لعجزهم عن فهمهم ومعرفة مشاكلهم وتقدير حاجاتهم، وكذلك عدم تحمل المسؤولية في تربيتهم وتوفير لوازمهم التربوية والنفسـية قبل التركيز على توفير احتياجاتهم المعيشـية والمادية، مرورا بظاهرة التفـكك الاسري وتمظهراتها المقلقة كالعنـف داخل الاسرة، والطـلاق الذي فاقت نسـبته كل التوقعات حيـث بلغـت في العراق مثـلا اكثر مـن الربع من حـالات الزواج في السـنوات الأخيرة، ناهيك ما يخلفه فشـل الزيجـات من مصير مجهول لضحاياه، وكذلك تضخم أعداد الأيتام، وأطفال الشـوارع. وصولا الى حـالات التقاطـع بين العوائل إذ أضحى نـادرا ان تجد عائلتين من الاقـارب لم تقطع المشـاكل ما بينهما من أواصر، وفي احسـن الاحوال انقطاع التواصل واقتصاره على حالات المرض او الموت وما شابه.

ضرورة التجديد في الخطاب الحسيني

استطاع التدفق المدهش لإنجازات الانسان المعاصر في مجال التكنولوجيا، فضلا عن التطور الهائل في العلوم الإنسانية ان يغير الكثير من قناعات الانسان المعاصر، ويحرره من النظرة النمطية لذاته، وللآخر، وللكون عامة كما جعله يتجاوز المنظومة التقليدية للمعرفة الدينية، ويجتاز الأسيجة الدوغمائية المغلقة إلى فضاء رحب لا تحده حدود التكفير والتضليل، أضف إلى انبثاق اسئلة جديدة اكثر جرأة لم تكن معهودة في السابق، وراح يخلق له منظومة منهجيات ومفاهيم وأدوات ومعطيات حديثة تتماشى ومتطلبات العصر ورهاناته، بل لا نبالغ بالقول ان التكنولوجيا تمكنت

ان ترسم للانسان مسار حياته فصارت هي التي تتحكم به وتقوده وليس العكس، وتمكنت أن تصنع جمهورا ذكيا يقظا مشاكسا بعد أن كان كسولا خاملا مستسلما. كما انها وسعت رقعة المتلقين، وزادت من تلوناتهم. فبعد أن كان الخطيب سابقا يتحدث إلى المتحلقين حول منبره تحديدا، منسجما في خطابه مع سقفهم الثقافي الواطئ عادةً. أصبح الان يُنقل خطابه على الفضاء مباشرة إلى شرق الارض وغربها، إلى شرائح مختلفة في وعيها ومستواها الثقافي، إلى المؤالف لهذا اللون من الخطاب، والمخالف له. فلربما كان خطابه يتصف بالسذاجة والبساطة بما يتناسب والحالة العامة لمستمعيه ولكن حين ينقل خطابه عبر الفضاء أو وسائل التواصل فيستمع إليه المثقف والمتعلم فلا يغريه بقبول الفكرة إن لم ينفره منها.

نسبة غير قليلة من المتصدين للخطاب الحسيني لم تدرك هذا الكم الهائل من المتغيرات المتسارعة في عالمنا المعاصر، ولم تزل رهاناتهم على حالها قديمة لم يتغير منها شيء، فما برحوا يتشبثون بآليات الماضي حين كان الخطيب يشكل مصدر المعلومة الوحيد لدى الشريحة الأوسع من ابناء المجتمع مع تفشي الامية وندرة الكتاب، وصعوبة اقتنائه. فليس منطقيا والحال هذه ان يحظى هذا الخطاب بذات القدر من الفاعلية والتأثير في زمن توفر المعلومة حدّ الابتذال، وسهولة تداولها بأساليب محببة للنفس كما هو حاصل فعلا.

ما عاد للخطيب دور الريادة، وتلك الاهمية التي كانت له سابقا مما يحتم عليه تغيير آلياته وتطوير امكاناته، وتجديد قراءاته، والخروج من حالة التكرار الممل ان اراد ان يبقى على ذات الدرجة من الفاعلية والحضور، ولا يتحقق ذلك ما لم يُجهد نفسه بالمطالعة، ومتابعة كل ماهو جديد في عالم الكتب والافكار، وإلّا سيخسر تأثيره وهو ما يحصل الان في كثير من المواقع حيث العزوف عن تقبل هذا النوع من الخطاب، وعدم الانسجام والتجاوب معه بعد ان أضحى خطابا منفرا لا جاذبا. إذ أصبح المستمع لا يحتاج الى عناء كي يكتشف أن الكثير من المعلومات العلمية أو التاريخية التي تلقى كحقائق ثابتة من على بعض المنابر لا تعدو كونها غير صحيحة، تافهة، لا قيمة ولا صلة لها بالواقع. ناهيك عن الأساطير والخرافات التي تأبى قبولها عقول الأطفال فضلا عن الكبار، مثلا أحدهم كان يؤكد وهو على المنبر ان هتلر أمر اصحابه وقد حاصرهم الحلفاء أن يتأسوا بالحسين (ع)!،

أو مسألة إيمان الباذنجان والعقيق بولاية أمير المؤمنين (ع)، وثالث يمنح نفسه لقب دكتور يخاطب مستمعيه وخصوصا الطلبة واصفا لهم حلا سحريا يمكّنهم من امتلاك ذاكرة حديدية يمتنع معها نسيان ما يقرؤوه وما يسمعوه بأن يكتب الشخص على باطن كفه ياعلي ثم يقوم بلحسها (يمثل لهم العملية بالصوت والصورة). وما ذلك الا غيض من فيض. وللقارئ الكريم أن يقدر حجم التداعيات السلبية، والآثار المدمرة على الفكر والروح والسلوك التي يفرزها مثل هذا الخطاب!.

أدركت المرجعية الدينية الكريمة في النجف الأشرف الواقع المأساوي للمنبر الحسيني المعاصر، ومستوى التدهور غير المسبوق الذي بلغه، ما دعاها الى مواجهة ذلك بصوت عال، والتدخل مباشرة للوقوف بوجه هذا التراجع المقلق، وتحرير الخطاب المنبري من براثن الخرافة، والتكرار الممل، والاجترار المبتذل، وهيمنة ما لا يرتضيه ذوق، ولا يقبله منطق، بتبني مجموعة من الوصايا فائقة الاهمية تشكل أساسا، وخارطة طريق لإصلاح المنبر الحسيني، وما ينبغي ان يكون عليه[٣٢]، واستشعارا بخطورة الأمر ومآلاته الكارثية على المجتمعات والأوطان تبنت مؤسستان دينيتان ذاتا صلة بالمرجعية الدينية بصورة أو أخرى، هما العتبة العباسية في كربلاء، ومعهد العلمين في النجف الاشرف عقد مؤتمر تحت عنوان (المؤتمر الدولي حول التجديد في المنبر

٣٢- صدرت هذه الوصايا العشر من قبل مرجعية السيد السيستاني في النجف الاشرف على اعتاب شهر محرم لسنة ١٤٣٨هـ، وسنعرض لبنودها بشئ من التفصيل لاحقا.

الحسيني) الذي انعقد في النجف الأشرف، وكربلاء المقدسة بتاريخ (١٦ـ١٧ آذار ٢٠١٧ م المصادف ١٧ـ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ)[٣٣]، وقد ذكرت أثناء تقديم ورقتي البحثية فيه: «ان المؤتمر لو لم يحقق سوى تبني المرجعية، وإعلان الحوزة العلمية: أن المنبر الحسيني وصل إلى حالة من الضعف، والفوضى لا يمكن السكوت عليها بحيث أضحى عاجزا عن التأثير الإيجابي في الاجتماع الشيعي، وأصبح بحاجة ماسة إلى نفخ الروح فيه من جديد ليعود الى حيويته، ويصبح مؤهلا لمسايرة التحولات الاجتماعية المتسارعة، ومواكبا لما تؤول اليه حركة الواقع ورهاناته وتطوراته التي لا تتوقف أو تتعطل. معبرة عن كل ذلك بالدعوة الى تجديد الخطاب المنبري، لكفى بها نتيجة. خصوصا اذا عرف القارئ الكريم ان هناك من يعتقد ان المنبر الحسيني الآن في حالة معافاة بل هو في افضل حالاته! - كما سمعت شخصيا ذلك من بعضهم - وهو ليس بحاجة إلى تجديد أو إصلاح، والمفارقة الغريبة أن هؤلاء هم اصحاب الصوت الأعلى، ومن يستحوذون على غالبية القنوات الدينية عند الشيعة الإمامية، ويغطي حضورهم اكثر برامجها. حالئذ تتبين أهمية الدعوة إلى التجديد التي اطلقتها الحوزة العلمية، وباركتها المرجعية الكريمة. يقول عميد المنبر الحسيني المرحوم الشيخ أحمد الوائلي (ت ٢٠٠٣م) في معرض حديثه عن حاجة المنبر الحالي الى التجديد، وبعد إشارته إلى تجربة جمعية منتدى النشر[٣٤] بتأسيس

٣٣- أنظر الملحق رقم (٢٧)

٣٤- كتب الكثير عن هذه الجمعية وظروف تأسيسها، والأشخاص المؤسسين، أذكر على سبيل المثال لا الحصر جعفر الخليلي في كتابه، هكذا عرفتهم: ج٢ ص ٢١.

معهـد الخطابـة[٣٥]، وكيفية القضاء عليها وهـي في المهد، يقول: «والآن وبعـد نصف قرن من الزمن... هل لا تزال الحاجة قائمة إلى مثل ذلك المـشروع أم لا؟» ثـم يجيب بقوله:» أن الحاجة قائمة وأن نسـبة عوامل نجاح المشروع أكثرمن نسبة عوامل الإخفاق.. الخ»[٣٦] .

٣٥- تعود فكرة إنشائه إلى الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٩٦٤م) طرحها عام ١٩٤٣م.

٣٦- الوائلي، الشيخ أحمد. تجاربي مع المنبر: ١٨٩.

سبل الارتقاء بالمنبر الحسيني

لم تمكث وظيفة المنبر كما هي سـابقا، محدودة لا تتعدى ذكر فضائل اهل البيـت (ع)، ومصائبهم، بل أضحى ما يتوقعه المتلقي ممن يرتقي المنـبر أوسـع بكثـير. اذ صار يأمل منـه ان يلامس مشـاكله، الفكرية، والاجتماعيـة، والتربويـة، والثقافية المعـاصرة التي ولـدت عنده بعد القفـزات الهائلة والتطورات المتسـارعة في مختلف مناحـي الحياة. لذا لم يعـد همّ تجديد الخطاب الحسـيني همّا خاصـا بمرتاديه أو اصحاب الشـأن، بـل شـاع ليكـون هـمَّ شرائح كبـيرة مـن المجتمـع، وحديثا يتداولونه في منتدياتهم ومجالسهم.

مـن غـير المجدي الحديث عـن التجديد في المنبر الحسـيني وبحث تطويـره مـا لم نعترف مسـبقا انه في ازمة حـادة، وحالـة تراجع مقلقة تسـتدعي من ذوي العلاقة شـحذ الهمم للحد من هذا التدهور أولا، ومـن ثـم محاولة النهوض بـه، بوضع الخطط والبرامـج لإخراجه من حالة التكلّس التي أصيب بها. اذ بدون ان نعي ونقر بالأزمة لا يمكن ان نفكر بالعلاج. في السـطور القادمة نحاول رسم الأولويات الملحّة التي تسهم في بناء الخطاب الحسيني المستقبلي.

كما تجدر الاشارة إلى عدم اقتصار طرف واحد على تحمل مسؤولية النهوض بالمنبر الحسيني بل هي مسؤولية تضامنية تشترك فيها عناصر عـدة ذات تأثير مباشر تارة وغيره أخرى كيما تصل به إلى الموقع الذي يمكّنه من ممارسـة دوره الريادي، وأداء رسـالته في الهداية والتثقيف. أما أهم هذه العناصر هي:

العنصر الأول: الخطيب.

هو العنصر الأهم، وصاحب التأثير الاقوى، والدور المباشر في اي حركة تنشد تجديد المنبر الحسيني وإصلاحه. لم نشأ الحديث هنا عن المقومات الأساسية التي ينبغي توفرها في الخطيب مما هو معروف، من التكوين العلمي الحوزوي، والتحلي بالورع، والتقوى، وحسن السيرة والسلوك لما لها من تأثير مباشر على المستمع. استحضر هنا وصية لأحد أساتذتنا من الفضلاء الذين عرفوا بالتقوى والصدق كان يقول (رحمه الله): لا بدّ للخطيب ان يضع في حسابه ان ما يأخذه من أعمار مستمعيه سيسأل عنه يوم القيامة، فاذا كان الحضور تحت منبرك مئة على سبيل المثال وانت تقرأ ساعة فتكون قد اخذت من اعمارهم مئة ساعة فلا بدّ ان تعوضهم في المقابل ما ينفعهم والا سيحاسبك الله سبحانه عليها.[٣٧]

اضافة لما سبق سنشير إلى مصفوفة من المقتربات الضرورية التي ترتبط بالخطيب بصورة مباشرة، وذات العلاقة بعملية تطوير المنبر الحسيني شكلا ومضمونا:

ألف- اختلفت مناهج التعليم الحديثة جوهريا عن نظيرتها التقليدية القديمة. فبعد ان كان التعليم يعتمد (المنهج التلقيني) قديما اصبح الان في المجتمعات المتطورة يعتمد على تحفيز ذهن الطالب، وتثوير عقله على التفكير، واثارة الأسئلة، وهو ما يصطلح

٣٧- هو آية الله المرحوم السيد كاظم القزويني حين تشرفت بالحضور والاستماع لنصائحه وارشاداته من وحي تجربته في الخطابة. كان ذلك في ثمانينات القرن المنصرم.

عليه (المنهج التساؤلي الحر) ما يعني إتاحة الفرصة أمام الطالب أن يعترض على أي معلومة يتلقاها، وأن يحاور ويدافع عن رأيه. فلم يعد الشاب كما في السابق مستعدا للجلوس والإنصات للخطيب ساعة من الزمن تُلقى عليه حزمة من البديهيات، والمسلّمات، ويطلب منه تصديقها، والإيمان بها، من دون ان يسأل أو يحاور. يلاحظ ذلك جليا من يتصدى للخطابة في أوساط الجاليات التي تقطن بلدانا تبنّت مدارسها المناهج التعليمية الجديدة حيث يلاحظ بوضوح عزوف الشباب عن الحضور في المجالس لعدم تفاعلهم مع الاسلوب التقليدي في الخطابة الحسينية ورغبتهم في إجراء حوار مع الخطيب في ما يلقيه عليهم، لذلك اصبح لزاما على الخطيب أن يستجيب لضرورات المرحلة، ومواكبة حركة التجديد في مناهج التعليم والتربية ليقدم إنموذجا قادرا على إغراء الجمهور، وتحفيزهم على الحضور والتفاعل مع خطابه.

لم يقتصر الأمر على ما ذكر بل هناك أسباب أخرى فيما يتعلق بالخطيب آلت إلى تراجع المشاركة والتفاعل مع الخطابة الحسينية مررنا عليها فيما سبق.

بناءً على ذلك أصبح لزاما على الخطيب ان يبتكر صيغة يحاور بها مستمعيه تتسق مع المكان والمناسبة التي يُعقد المجلس فيها، ولا يشعر بالضيق والحرج من النقد، أو الاشكالات التي تثار على ما يطرح، إن لم نقل عليه هو ان يبادر إلى تشجيع جمهوره ومستمعيه وتدريبهم على ذلك. وقد كانت لي شخصيا تجارب في هذا المجال تكللت بالنجاح

في اكثر من بلد من ضمنها العراق، ولعل افضل المواسم لتطبيق هذا البرنامج هو شهر رمضان المبارك.

باء- كان الخطيب فيما سبق يمثل المصدر الوحيد للمعلومة عند الغالبية العظمى من ابناء المجتمع لعدة أسباب منها تفشي الامية، وندرة الكتاب، وصعوبة اقتنائه، اضافة إلى عدم توفر وسائل التواصل كما هو حاصل الان فكان من الطبيعي والحال هذه أن يستقي الناس معلوماتهم الدينية والعامة من الخطيب فحسب. اما والعالم يشهد عصر تكنولوجيا المعلومات، وثورة وسائل التواصل فالأمر مختلف جدا حيث اصبحت المعلومة متوفرة بل مبتذلة.. رخيصة.. سهلة الاقتناء.. تقدم للمتلقي باجمل حُلّة محبَّبة للنفس، متاحة للمتعلم وغير المتعلم، الكبير والصغير، الرجل والمرأة، الغني والفقير. توفر المعلومة هذا ألقى على كاهل الخطيب مسؤولية ثقيلة كي يرتقي بإمكاناته العلمية والثقافية ويكون عند حسن ظن المتلقي. بعبارة أخرى إن اراد الخطيب ان لا يخسر رصيده من الاعتبار عند مستمعيه عليه أن يمثّل حاجةً لهم، إذ ما عاد المتلقي مضطراً للجلوس والإنصات لفترة طويلة من دون فائدة تذكر بعد أن أصبح بإمكانه أن يحصل على أية معلومة تلزمه بضغطة زر كما أتاحت له تقنية المعلومات. لذا تحتَّم على الخطيب أن يطور بنائه الفكري والثقافي عبر مواكبة حركة التطور في مختلف مجالات المعرفة ذات العلاقة بمهمته، كما أصبح من الضروري أن يهتم بدراسة المداخل الأساسية للتعرف على المذاهب والفرق الاسلامية، والأديان الابراهيمية وغيرها، مضافا الى ضرورة معرفة نشأة الدين وتطور الظاهرة الدينية تبعا لتطور الحياة البشرية

وتعقيدها، وكذا عليه متابعة ما يدور حوله من شؤون سياسية واجتماعية واقتصادية، وملاحقة المعلومة النافعة، وتكثيف مطالعاته لما هو جديد في عالم الفكر والثقافة كي لا يكون مستوى المستمع ارقى وأرفع من مستوى الخطيب كما هو حاصل للاسف في أحيان كثيرة، من هنا (إني أدعو إخواني - الخطباء وأنا أقلهم- وقد قيض الله لنا ما لم يحصل عليه أسلافنا من وسائل المعرفة، وفرص النهوض بالمنبر، ووفرة الإمكانات المادية، إلى مضاعفة الجهد، والشعور بثقل المسؤولية لامتداد المنبر إلى خارج حدودنا وتغير الأوضاع الثقافية والإجتماعية مما لا أظن أنه يخفى عليهم).[٣٨]

جيم- من الضروري اهتمام الخطيب بتعلم ألف باء العلوم الانسانية، والإحاطة الإجمالية بها، كعلم التربية، علم النفس، الاجتماع، الأنثربولوجيا، الفلسفة الحديثة، الحقوق، السياسة، الاقتصاد... الجهل بالعلوم الانسانية جهل بعلوم اكتشاف وفهم الشخصية البشرية، والاستمرار في الخطاب الوعظي الساذج الممل، الذي لا يعرف شيئاً عن عمق النفس البشرية وطبقاتها المجهولة المتعددة.

دال- ان لا يرقى الخطيبُ المنبرَ ما لم يكن قد انتسب إلى الحوزة العلمية، وحضر دروسها، ونهل من علومها بالقدر الذي يؤهله لفقه النص، ونقده، وتمييز صحيحه من سقيمه، واثره على المستمع، اضافة إلى معرفة لا بأس بها بعلوم القرآن ومناهج تفسيره القديمة

٣٨- الوائلي، الشخ أحمد. مصدر سابق:

والحديثة. ناهيك عن علوم اللغة والبلاغة، ما من شأنه أن يخلق عند الخطيب ذائقة خلاقة تسهم مباشرة في اختيار الموضوع، وأناقة في الاسلوب، وقدرة على امتلاك أدوات اتصالية ولغوية مؤثرة. يذكر المرحوم الشيخ أحمد الوائلي[٣٩] وهو من عُرف بغزارة علمه وسعة اطلاعه، وقوة بلاغته، وجمال شاعريته، وهو بصدد الإشارة إلى الأمور التي ندم عليها، يقول: « ..أني لم أكمل الدورات الدراسية المتعلقة بالعلوم الإسلامية: الفقه، وأصول الفقه، والفلسفة، وكل مشتقات العربية الخ. فقد كان ينبغي عدم الاكتفاء بدورات عادية غير مكثفة، بل لا بد من إحاطة تامة بتلك العلوم التي تعتبر أساسا ضروريا للمنبر...»[٤٠].

أسوق ذلك بعد أن انتشرت مؤخرا – للاسف الشديد– ظاهرة الخطيب الذي لم يولد من رحم الحوزة العلمية، ولم يكن من نتاجها، وليس له حظ من علومها. فلا يحتاج المستمع إلى كثير عناء ليكتشف سقم اللغة، وتخبط المضمون، وعشوائية الطرح، وركاكة الأسلوب، وما يؤسف له ان هؤلاء هم من تسلّط عليهم الاضواء، وتتسابق الفضائيات على نقل خطبهم الركيكة المهلهلة المحشوة بسباب الاخر وشتمه وبقصص الخرافة، لا لشيء إلا لما يتحلون به من مقدرة على إحباك قصص الخيال، والمنامات التي يداعبون بها مشاعر البسطاء والسذج من المستمعين. كما كان يحدث أحدهم مستمعيه عن سوء

٣٩– راجع موجز ترجمته في المقدمة.

٤٠– الوائلي، الشخ أحمد. مصدر سابق: ١٤٦.

الخلـق عنـد بعض أنـواع السـمك! علـما أن خطابه هذا يبـث وينشر بالصوت والصورة، وإلى الله المشتكى.

بـل ربما وصل الامر ببعضهم إلى الاسـتهانة بالـذات الالهية والكرامة الانسانية كما فعل البعض حين تجرأ على قدسية مقام الإلوهية وهو يتحدى ربَّ العـزَّة مـن على منبر سـيد الشـهداء، ليصرح: إن الإمـام عليا (ع) هو ربنـا (تعـالى الله عن ذلك علـوا كبيرا)، وتـمّ يؤكد عليها أكثـر من مرة في ذات الخطبـة!. إنـه غير خاف ما لهذا النوع من الخطـاب من أثر مدمر على شرائح كبيرة من المسـتمعين. إنه لمما يحز في النفس أن يصبح المنبر الحسيني مرتعا للفاشـلين في دراسـتهم، إذ لا يحتـاج الفرد كيما يتحـول إلى خطيب يشار إليه بالبنان سوى أن يتحلى بصوت جميل قادر على تحريك العواطف والتلاعب بالأحاسيس.

يجدر التنويه هنا على خطورة نظرة الاستهانة والازدراء التي يتعامل على وفقها بعض رجال الدين في الحوزة العلمية مع الخطيب الحسيني «وكانوا يعبرون عن الخطيب بنبرة امتهانية بأنه (روزخون)[٤١]، وتفشي ظاهـرة الإثنينية بين العالم والخطيـب، والتعاطي مع الخطباء بفوقية لا مبرر لها، إذ ربما تركت اثرا سـلبيا على مسـيرة المنبر الحسـيني المباركة، فإنها سـتفضي إلى إحجـام ذوي الكفاءة والمقـدرة العلمية عن مزاولة الخطابة الحسـينية. مـا يعني إفسـاح المجال لغير المتعلمـين والمدعين، وتقديـم فرصـة على طبق مـن ذهب للمسـتأكلين والفاشـلين في ملأ

٤١- روزخون: كلمة فارسية تعني قارئ الروضة، نسبة إلى كتاب روضة الشهداء الذي كان الخطباء الحسينيون في ايران سابقا يقرؤون مجالسهم من هذا الكتاب تحديدا.

الفراغ، وهذا ما حصل بالفعل، علما أن عددا غير قليل ممن يمارسون الخطابة كانوا قد قطعوا شوطا بعيدا في دراساتهم الحوزوية فهم بين أستاذ ومحقق وكاتب. غير أن شعورهم بالمسؤولية وتحملهم لها دفعهم إلى التصدي لتوعية الناس وتحذيرهم ممن ينصب شراك استغفالهم مستغلا محبتهم لدينهم، وتفانيهم من أجله، وولائهم لآل النبي (ع).
لا يمكن أن يُحاصَر الذين أتخموا الفضاء بالخطاب البائس، ويحد من تأثيراتهم السلبية سوى تجاوز الموروث التقليدي المهيمن على بعض حوزاتنا العلمية والذي يمنع العالِم من التصدي لممارسة الخطابة، والتحول من ثقافة العالم والخطيب إلى العالم الخطيب، والخطيب العالم. أذكر قضية حدثت معي ما تزال ذاكرتي تحتفظ بذلك المشهد الغني بالرموز ذات الدلالة، والذي حدث في يوم من أيام دراستي في الحوزة العلمية أن دخلت على أحد أساتذتي- كان استاذا مجتهدا أخلاقيا يشار له بالبنان في أوساط الحوزة العلمية ورعا وزهدا- زائرا له على إثر عودتي من مهمة تبليغية في شهر رمضان المبارك (حيث كان هو أيضا مدعوا لإلقاء محاضرات أخلاقية في أحد المساجد) فوجدته واجما متألما كمن جرحت ذاته جرحا بليغا، ولما سألته عن سبب انزعاجه وما أراه عليه من علامات التجهم، فوجئت بجوابه المستفز، الصادم لي في حينها، إذ أخرج ظرفا من بين الكتب، عارضا إياه أمامي بطريقة تستلزم أن أقرء ما كُتب عليه، فشاهدت مكتوبا عليه: (هدية مسجد ... إلى سماحة الخطيب السيد...) مردفا بقوله بلهجة عتاب: هل يرضيك أن يصفني أصحاب المجلس بالخطيب؟! ألِمثلي يقال خطيب؟. كان موقفا لا ينسى، سبب لي جرحا عميقا ذلك أنه يصدر

مـن أسـتاذ أجلّه كثيرا، بل كنـت أضعه في مقام القـدوة في الأخلاق، وبعـد إفاقتـي من هول الصدمـة التي مكنتني من الـرد عليه بقوة ربما بلغـت بي حدود تجاوز لياقة التعامل بين الطالب والأسـتاذ، قلت له: ومـا الذي يزعجكم في الأمر؟ ألا ترون أنـه طبيعي جدا؟ ثم من قال أن ما تقومون به وتؤدونه أفضل من الرسالة التي يؤديها الخطيب؟ ثم مـن قال إن موقفكم يوم القيامة سـيكون أحسـن حالا من الخطيب؟ ألم يكن رسـول الله خطيبا؟ ألم يكن أمـير المؤمنين (ع) خطيبا كذلك؟ مَـن مِن أئمـة أهل البيت (ع) لم يمارس الخطابة؟. أسـوق هذا الموقف كشـاهد على العلاقة المتوترة، والصلة غير الودية بين العالم والخطيب. لكن ذلك لا يعني أنها الحالة العامة وإنما يبقى لها حضور واضح.

هـاء- تجدر الاشارة هنا الى جدوى اعتماد وسائل الإيضاح الحديثة في الخطابـة المنبرية ما أمكن ذلك. مثل المخططات والجداول والصور وغيرها، بالاسـتعانة ب(الآيباد)، وغـيره من الاجهزة، فتظهر صورة عـلى شاشـة ضوئية، يتحكـم فيها الخطيـب وهو على المنـبر، وتوضع واحدة امام المتلقين، واخرى أمام الخطيب آخر القاعة.

واو- الانسـان كائـن يسـكن اللغة وتسـكنه، لغة معظـم الخطباء اليـوم تكراريـة مبتذلة، سـمجة، مملّـة... إصلاح المنبر يسـتقي مادته من إصلاح قاموسـه اللغـوي، لذا فان قراءة نصـوص الأدب العربي والعالمي الحديث ضرورة يفرضها تحديث لغة المنبر. علما ان أحد أهم مفاتيح اكتشـاف الشخصية البشرية هي الرواية، والمسرحية، ومختلف أجناس نصوص الأدب الحديث العربي والعالمي.

زاي- ينبغي على الخطيـب أن يتجنب الخرافة، والمبالغات، وما لا يقبلـه العقل، كمن يذكـر على المنبر أن في ليلة من ليـالي معركة صفّين وبينما كان الإمام أمير المؤمنين (ع) نائما إذ انتبه الناس إلى سيف الإمام يقاتل أصحاب معاوية لوحده! أو من ينسب للإمام الحسين (ع) قتل الآلاف يـوم عاشـوراء[٤٢]، إذ ان مثل هذه الاخبـار واضحة البطلان، وهي تضر بمكانة أهل البيت (ع) بخلاف من يتصور أنها ربما تضيف لهـم فضيلـة لأنها ببسـاطة لا تصمد أمام أدنى عمليـة نقد، «يروى أن شـاعرا دخل يوما على السيد الحميري الشـاعر المعروف طالبا منه أن يستمع إلى ما رثى به أهل البيت وما تفجع به لهم، ومنه قوله:

مـا بـال بيتهـم يخـرب سـقفه   وثيابهـم مـن أرذل الأثواب

فقـال له الحمـيري: يا ابن اللخناء، من الذي دعـاك إلى أن تقول مثل هذا في آل محمد، ألا قلت كما أقول أنا؟:

أقسـم بـالله وآلائـه   والمـرء عـمّا قـال مسـؤول

٤٢- يحكي الشيخ أحمد الوائلي في كتابه تجاربي مع المنبر: ١٠٧ «أنه حضر مجلسا لخطيب كان يذكر إن الإمام الحسين قتل يوم عاشوراء إثني عشر رجلا ، يقول: فقلت له: هل قاتل الحسين يوم الطف بمعجزة أم بصورة عادية؟ قال: بل بصورة عادية. قلت له: لو أن إثني عشر ألف دجاجة تهيء وتعلق للذبح ويتولى ذابح ماهر قطع رؤوسها بأن يأخذ واحدة واحدة لقطع رأسها، فكم تحتاج كل واحدة من الوقت؟ ولنفترض أنها ربع دقيقة، فمعنى ذلك أن الوقت الذي يستغرقه قتلها ثلاثة آلاف دقيقة، تقسم على ستين سيكون الوقت المستغرق خمسين ساعة. هذا على الفرض المذكور. أما لو كان القتيل رجلا ومن الفرسان فيحتاج كل واحد إلى وقت طويل، والحال إن مدة واقعة الطف القتالية لا تتجاوز بضع ساعات، فلماذا هذه الروايات التي تتركنا مهزلة بين الناس؟...».

إن عـلي بـن أبي طالـب ... عـلى التقـى والـبر مجبـول

يقـول بالحـق ويعنـي بـه ... وليـس تلهيـه الأباطيـل

إن الواقعـة ذات دلالة في حفظ مقـام آل محمد وإن كان ما ذكر قد يكون صحيحا، ومن أجل هذا قال الإمام زين العابدين (ع): أحبونا حب الإسلام. والله ما زال حبكم بنا حتى صار عارا علينا»[٤٣].

مسـؤولية خطيب المنبر الحسـيني تكمن في عرض السيرة الناصعة لأهـل البيـت (ع)، والوجـه المشرق لتراثهـم، وتكييفه مـع متطلبات العـصر، ولا يكون ذلـك إلا عن «طريق العرض الملائم والإسـلوب الواعي المهذب، وحسـن الإختيار، والإبتعاد عما لا يلتقي والضوابط الإسـلامية الصحيحـة لا المفتعلـة، والتأكد أولا من صحـة ما يروى عنهـم، وثانيا الابتعاد عن خلع الذات ومسـبقاتها عـلى النص، وثالثا التنبه إلى التناسب بين ما يلقى ومن يلقي عليهم... الخ»[٤٤]

كـما يتوجـب على الخطيب الحسـيني تحاشي مـا يثـير الفتنة ويخرق النسـيج المجتمعـي، ويجهـز على التعايش السـلمي بين ابنـاء المجتمع الواحـد، خصوصـا في مثـل الوضـع الراهـن في العـراق، والعـالم الاسـلامي عامة حيث بلغ الشـحن الطائفي والعرقـي مديات مخيفة نتيجـة الخطـاب التعبـوي، التحريضي ضـد الآخـر المختلف. حدث في زيارة لكاتب السـطور إلى المرجع الأعلى سـماحة السـيد السيستاني

٤٣- الوائلي، الشيخ أحمد. مصدر سابق: ١٠٧.

٤٤- ن. م: ٨٧.

(حفظه الله) في صيف عام ٢٠١٥ أن سألته عن رأيه في الكثير مما يبث على القنوات الفضائية المحسوبة على شيعة أهل البيت (ع) مما يتضمن إساءات لمقدسات الآخرين وإثارة للفتنة الطائفية، فأبدى انزعاجه الشديد من ذلك، كما أشار بوثوق واطمئنان إلى ارتباط هذه القنوات بأعداء الأمة ممن لا يودون لمجتمعاتنا الرقي والأمان، وقد حدثني أكثر من خطيب من الخطباء الأفاضل حينما كانوا يلتقون سماحته يوصيهم أن يكون خطابكم معقولا، تتجنبون ذكر ما لا يقبله العقل والمنطق من المبالغات، وأن يعكس خطابكم صورة ناصعة للتشيع، لا أن يهبط به إلى درجات متدنية.

ليس بالضرورة ان يكون مستساغا في زماننا ما كان مقبولا في السابق. يلاحظ ان الاثر السلبي لهذا النوع من الخطاب تجلى بصورتين: الأولى، تتمثل بالشباب الذين توطن العنف والكراهية في أعماق ذواتهم جرّاء الخطاب المأزوم واللاإنساني، والثانية، بالشباب الذين خلق عندهم هذا الخطاب موقفا سلبيا من الدين وكل ما يمت له بصلة، فتسللوا خارج الإيمان، وهؤلاء يشكلون الان ظاهرة يلحظها من له أدنى تواصل مع شريحة الشباب.

العنصر الثاني: المتلقي.

العنصر الثاني في مسار إصلاح المنبر الحسيني هو الجمهور الذي عليه ان يمارس دوره الايجابي باعتباره المعني بعملية الاصلاح اكثر من غيره، فصلاحه بصلاح المنبر وتخلفه بتخلفه. فاذا ما تبنى المنبر الحسيني خطابا طائفيا يثير الاحقاد فالمجتمع هو من يدفع ثمن ذلك

مـن أمنه واسـتقراره وتعايش أبنائـه، وان كان الخطـاب خرافيا يتبنى طرحـاً غـير عقلانيّ، مبنيّ على المبالغات ومـا لا دليل عليه كان الثمن مستقبل أبنائه إذ سيطفئ هذا الخطاب وهج الدين، وسيسهم في هدم صرحه في نفوسـهم، كـما سـيقتل فيهم كفـاءة التفكير، والاسـتعداد للتعلم.

تتجسد مسؤولية الجمهور في إيجاد مسار مختلف للخطابة الحسينية أكثر نضجا، وأقوم أداءً بما يلي:

أ: مـن أهـم مـا يمكـن أن يقـوم بـه الجمهـور هـو أن لا يكتفي بالحضـور، وإمطار الخطيب بكلمات الإطـراء التي يهديها اليه بدون استحقاق أحيانا من قبيل (أحسنتم، وطيب الله أنفاسكم) فحسب، بل لا بدّ أن يمارس دوره في السـؤال ،والاستفسار من الخطيب عن مصادره، ومناقشـته في أدلتـه، والتحاور معه فيـما لا دليل يعضده، وان تتحـول عملية النقد هذه إلى تقليد يداوم عليه المسـتمع ليكون بذلـك قـد رمـى عصفوريـن بحجـر واحـد، وقـدَّم خدمـة جليلة للمجتمع وللخطيب في آن، فمن جهة سيجنّب مجتمعه ويحصنه من اي فكـرة أو مفهـوم فتنوي قد يؤدي إلى تلويـث المجال الاجتماعي العام، أو يكون ذا أثر سـلبي على تطور المجتمع وسـلامة مسـيرته، ومن جهة أخرى سـتنهض هذه الممارسـة بمستوى الخطيب العلمي بعد ان يجد نفسـه تحت ضغط ملاحقة الجمهـور ومطالبته بالجديد، والاهتمام بأدلَّة مايدعيه فسـيجد نفسه مضطرا إلى تكثيف مطالعاته وتنويعها ليلحق بمسـتوى المتلقين ثقافة ووعيا، ويكون عند حسن

ظنهـم، ولا يبقى متخلفا عنهم. وبذلك يكون المستمع قد أسـدى خدمة غير قليلة للخطيب.

ب: الجمهـور مسـؤول مسؤولية مباشرة عـن إتاحـة الفرصـة، وإفساح المجال أمام العلماء المحققين، والفضلاء الباحثين، والأساتذة والمفكريـن، وتمكينهم مـن اعتلاء المنبر وممارسـة الخطابة لينتفعوا من عطائهـم، و«ليوقظـوا أرواحهـم، ويوصلوهـم بـالله، بوصفـه المنبع الحقيقـي للطاقـة الحيويـة الإيجابيـة» يتحقـق ذلـك بعـد أن يخفـض المستمعون من سقف توقعاتهم من الخطيب فيما يخص موضوعة جمال الصوت في تلاوة المصيبة وما يلازمها من ترتيل شـعر الرثاء واطواره المختلفة مما لا يجيده الا المحترفون، خصوصا في المواسـم والمناسـبات التـي لن يكـون فيها سرد المصيبة مادة اساسـية كما هو الحال في شـهر رمضـان المبـارك مثلا. لا بدّ للمسـتمع من ان يعي انـه الخاسر الاكبر كلـما زاد اهتمامه، وتكاثرت شروطه على الخطيـب في اجادة فن تلاوة مأسـاة الإمام الحسين، وسـائر آل البيت (ع) يكون قد حرم نفسه من عطاء العلماء الواعين والمربين، بنفس الوقت يكون قد ابقى على سلطة مـن لا ينتفـع منهـم بشيء ربـما الا اليسـير. ففي فترات ليسـت بعيدة كانـت تجارب ناجعة بهذا الصـدد. إذ عرف عن بعض الفضلاء ذوي الثقافة الواسـعة أنهـم كانوا يدعون لإحياء ليالي شـهر رمضان وغيره من المناسبات في بعض الأماكن في العراق، وبعض دول الخليج ايضا فيقومون بإلقـاء محاضراتهم، ويكون قد دعي بذات الوقت من يؤدي دور قارئ المصيبة والعزاء ليقوم بدوره بعد اتمام المحاضرة.

العنصر الثالث: صاحب المجلس والمسؤول عنه.

مما يؤسف له ان الكثير من المجالس الحسينية في مجتمعاتنا تدار بطريقة فردية بمعنى ان هناك شخص واحد يتفرد في إدارة جميع شؤونها بما فيها اختيار الخطيب وتوجيه الدعوة له، وربما كان مدير المجلس، أو المموّل ممن لم ينل حظّاً كافيا من التعليم، إن لم يكن أميا فكيف لنا والحال هذه ان نأمل منه ادارة مؤسسة ثقافية لها خطورتها على الواقع العام، تساهم مساهمة فاعلة في صناعة الرأي العام كالحسينية أو المركز الثقافي الديني؟ لذا يصبح من غير المنطقي توقع ان يكون اختيار الخطيب قائما على اسس سليمة كالعلم، والكفاءة، وإجادة التعامل مع ما يتفشى من ظواهر سلبية، ومعالجة المشاكل الأسرية، وما يواجهه أفراد المجتمع من تحديات، هذا من جانب ومن جانب آخر ربما يخضع صاحب المجلس إلى ضغوط يمارسها بعض البسطاء الذين لا يهمهم سوى عدد الحضور حتى لو على حساب جودة الأداء، ومدى الإستفادة، بل غالبا ما يتم الاختيار لاعتبارات شخصية، ومصالح فردية ضيقة بعيدة كل البعد عن الكفاءة. حدث اني كنت استمع يوما لخطيب كان قد قدم من احد بلدان المشرق في مجلس عام في بلد أوربي وكان يتحدث بإسلوب لا يناسب الا مجموعة من العجائز اللواتي لم يحُزنَ تعليما يذكر، بلا ادنى مراعاة لمقتضيات المكان وطبيعة المجتمع وحاجاته، خطاب لا يمت إلى المقام بصلة من قريب ولا بعيد، غريب عن اهتمامات الناس في ذلك البلد، وحين استفهمت عن سبب دعوة هذا الخطيب بالذات دون غيره من الناهبين المؤثرين ظهر انه صديق لصاحب المجلس! طبعا لا يمنع ان الخطيب

هـذا ذاتـه ربـما يكون نافعـا في بيئـة وظروف أخـرى مختلفـة. ولطالما شـهدنا من افاضل الخطباء يبقى جليس داره، اذ لا يستقرؤه احد ايام المواسم. لا لسبب سوى انه لا يجيد فن الدعاية لنفسه، أو ليس له حظ وافر من العلاقات مع اصحاب الشـأن في هذا المجال. يقول المرحوم الشيخ الوائلي صاحب التجربة الثرية بهذا الصدد: «وبالجملة فإن عدة اعتبـارات تتدخـل في اختيار الخطيب وتفضيلـه على غيره وإن لم يكن أفضـل ولكنه مرتبط بمن بيده أمر المجلـس وهذا كاف في اختياره... الخ»[٤٥].

يستدعي كل ذلك ان تتشكل لجان ثقافية في المناطق أو المدن تأخذ عـلى عاتقهـا إدارة البرامج الدينيـة والثقافية في الحسـينيات، والمراكز الدينيـة تتشـكل من اشـخاص متعلمين عاملين يحملـون همّ تخليص مجتمعهـم من براثن الجهـل والتخلف، وتدريبه على النقد والتسـاؤل ليتمكن من تحقيق تنمية شاملة، يتم ذلك من خلال جملة من الخطوات العملية:

ألـف- ان لا تتـم دعـوة الخطيب لإلقـاء المحـاضرات الّا من قبل لجنـة تأخذ على عاتقها دراسـة جدوى دعوته للمنطقـة المعنية بلحاظ احتياجاتهـا.. مـدى انسـجام المسـتمعين مع هـذا الخطيـب.. مقدار الاسـتفادة منه. متجاوزين أي اعتبارات شـخصية أو فئوية حزبية أو غيرهـا ممـا اخذ يشـيع مؤخرا في الأوسـاط من قبيل البـث الفضائي، الشـهرة، أو قدرة الخطيب على جمع عدد أكبر من المستمعين. علما «إن

٤٥- الوائلي، الشيخ أحمد. مصدر سابق: ٤٩.

جمهور الأعـمال التي فيها أصالة، ومعاناة دائما أقل من جمهور الأعمال السـطحية، فإن الذيـن يلاعبون قردا قـد يجمعون مـن الجمهور أكبر بكثير مما يجمعه اينشـتاين إذا أراد شرح نظريته النسـبية. وتحضرني هنا قصـة بشـار بن برد، وهو شـاعر فحل فقد كان يقـارع خصومه بمثل قوله:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية   هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة   ذرى منبر صلى علينا وسـلما

فكان لم يحصل إلا على قليل ممن يردد شعره، ولكن خصومه انبروا له بشعر هابط يستسيغه العامة فتلقفه الجمهور، وراح ينعق به وهو:

نللينـه نللينـــــه   طعـن قثّـاء بتينـــــة

إن بشار بن بـــــرد   تيس أعمى في سفينة

ولكن شـعر بشـار يبقى موضـع جـدارة وتقدير، وانحـسر الهراء واللغو.

فـلا ينبغـي أن ينصب هم المنبر عـلى اجتماع غني بالعـدد وإن كان بفكر فقير في النوعية»[٤٦]،أوغيرها من الاعتبارات الشكلية الأخرى.

باء- في أحيان كثر يُدعى الخطيب إلى مكان ما ليلقي فيه محاضراته، وهـو لا يحمل اي تصور عن حاجات اهله، ومشـاكلهم التي يعانوها فيتحـدث عـن امـور غريبة عن معاناتهـم، لا تلامـس حاجاتهم، ولا

٤٦- ن.م: ٢٧.

تساعدهم في حل مشاكلهم، بل يكون هو في واد وهم في آخر. لذا يتحتم على اللجنة المفترضة ان تقوم بعملية مسح لمشاكل المنطقة والتحديات التي تواجهها ويعدّوا قائمة بالعناوين التي تمثل أولوياتهم لتقدَّم إلى الخطيب قبل فترة تكفي كي يتمكن من إعداد بحوثه، وتهيئة محاضراته على وفقها، كما انه سيكون من النافع ان يصار إلى الاعلان عن قائمة المواضيع التي سيتم تناولها في هذا الموسم.

جيم- لا يمكن استكشاف مدى مقبولية الخطيب، واستفادة الجمهور منه، ودرجة نجاح البرنامج المنعقد بصورة عامة ما لم تقم اللجنة الثقافية بعمل استبيان[٤٧] تحقق به غايتين، الأولى: يستكشف به رأي المستمعين بخطيبهم، وانطباعهم عنه، من حيث المادة التي قدمها، وهل تجدد له الدعوة في مناسبة لاحقة ام لا؟

والأخرى: يعمل على تجسير العلاقة بين الجمهور من جهة، والمكان (حسينية أو مسجدا أو مركزا دينيا) من جهة أخرى. إذ ستمنحهم العملية شعورا بالمشاركة والمسؤولية مما يعزز حضورهم واهتمامهم الذي سيؤثر مباشرة في نجاح البرنامج.

دال- كما اقترح ان يسعى المعنيون إلى عقد مؤتمر سنوي هدفه توعية أرباب المجالس وأصحاب المواكب، وتثقيفهم على معايير اختيار الخطيب، وإقامة البرامج الناجعة والمفيدة.

٤٧- انظر الملحق رقم (٤،٣،٢،١)

العنصر الرابع: المرجعية الدينية الكريمة.

لا يمكن للمنبر الحسيني ان يؤدي مهمته، ويحقق أهدافه في الإصلاح، والبناء الروحي والأخلاقي، ويقوم بدوره الحضاري المنوط به خير قيام دون ان يكون للمرجعية الكريمة تماس مباشر، وتواصل مستمر معه. كيف وهو وليد حوزتها الشرعي؛ ترعرع في احضانها، وتشرب علومها، متسق مع غاياتها. ان نطق فعن لسانها ينطق، وان انتسب فإليها ينتسب، ملتصق بها التصاقا مشيميا، ولست هنا بصدد تحديد الموقف لمراجعنا الكرام بل اثنّي على قول أحد أبناء الحوزة العلمية البارين، ومَن تخوله تجربته الطويلة مع المنبر أن يقدم رؤيته فلنتابع المرحوم الشيخ الوائلي وهو يقول: «أرفع صوتي إلى أئمتنا وقادتنا الدينيين أن لا يبقوا الخطباء بعيدا عن حضيرة الحوزة فإنهم يشعرون باليتم إذا لم يظلهم جناح آبائهم الروحيين.. ولست هنا أعلّم أو أحدد للمراجع تكليفهم فهم قادتنا ولكني صوت من الساحة يشعر بثغراتها ويتحسس حاجاتها وتخوله تجربته الطويلة أن يطرح مطالبه، ويطلب من جهة لا يجد ذلاً في الطلب منها، وأرجو أن تكون من همومهم في صدارة الموضوعات.»[٤٨] وإنما يتحقق هذا التواصل من خلال:

ألف- المتابعة والإشراف العام على أداء المنبر الحسيني وضبط إيقاعه، والتواشج مع حركته. حين تقف المرجعية الموقّرة على حجم التشويه والإساءة بقصد أو بدونه لمذهب اهل البيت (ع)، بل ربما

٤٨- الوائلي، الشيخ أحمد. مصدر سابق: ٨٢.

طال التعدي الدين ورموزه المقدسة عامة جرّاء هزال الخطاب المنبري في حالات غير قليلة، وطغيان التجهيل، واعتماد الخرافة، ونشر الفتنة ما أدى إلى فقدان المتلقي ثقته بالمنبر، وربما انسحب موقفه السلبي هذا على الدين برمته. هنا يُنتظر من المرجعية الدينية أن يعلو صوتها لتقول كلمتها بشأن تصحيح المسار، وتعديل الاعوجاج، وموضعة الأمور في مواضعها. كي لا يشعر الخطيب انه خارج مظلة المرجعية، وانه غير مسؤول امامها. يروي جعفر الخليلي عن المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء انه: (كان يحرم الإستماع إلى الخطباء الذين يأتون بأحاديث ملفقة مكذوبة على الله ورسوله وأوليائه، واعتبر الإصغاء إلى مثل هؤلاء الخطباء وحضور مجالسهم والاستماع إلى خطبهم من الأمور المحرمة التي لايجيزها الشرع بوجه من الوجوه)[٤٩]

باء- حث المرجعية الكريمة فضلاء الحوزة العلمية وأساتذتها المحترمين، على التصدي لمهمة الخطابة، اقتداءً وتأسياً بسيرة أئمة أهل البيت (ع) حيث جعلوا الوعظ والارشاد وتقويم سلوك الأفراد، والتصدي للممارسات الخاطئة من صلب حركتهم في المجتمع، ممتثلين إلى المنهج الذي اختطه جدهم رسول الله (ص) حين خاطب أمير المؤمنين (ع): (..فوالله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[٥٠]. على الرغم من الظروف غير الطبيعية التي عاش فيها معظم الأئمة (ع) إلا أن ذلك لم يحل دون أن يخلّفوا

٤٩- الخليلي، جعفر. مصدر سابق: ج١ ص ٢٤٤.

٥٠- أبو جعفر الطبري. بشارة المصطفى.ص٢٩٧، أحمد بن حنبل. المسند.ج١ ص٨٤، الشيخ الطوسي. الأمالي.ج١ ص٤١٥.

تراثا إرشاديا ضخما إلى جوار تراثهم العلمي والفكري. بهذه الخطوة ستسحب المرجعية الموقرة البساط من تحت الأميين، والفاشلين، وأصحاب المشاريع التي لم يجن منها التشيع سوى تشويه معالمه، وتخلف أتباعه، وتملأ الفراغ الحاصل بعلماء أكفاء، كما ستسقط بذلك شرعية بعض المهرجين ممن اساؤا للخطاب الحسيني، وتقطع الطريق عليهم. حينئذ ستتغير الذائقة الثقافية الدينية للمجتمع فلا ترضى بأي خطاب يستغفلها، وترفض الهابط منه، البعيد عن لغة العقل والمنطق بعد أن تعتاد على خطاب علمي رصين مدعم بالبراهين والأدلة. بعد ذلك يمكن الاستعانة بأحد أصحاب الأصوات الجميلة ممن امتهنوا تلاوة مصيبة سيد الشهداء ليكمل المجلس، وبذلك تكون الأمور قد وضعت في نصابها الصحيح. وقد شهدت شخصيا تجربة بهذا المجال حيث كان أحد أساتذتنا في الحوزة العلمية في مرحلة البحث الخارج[٥١] يرقى المنبر بنفسه في صباح كل يوم خميس من الاسبوع في بيته العامر لقراءة المجلس وإلقاء خطبة الوعظ والإرشاد. علما أن غالبية الحضور كنّا نحن تلامذته إضافة إلى آخرين من الفضلاء والأساتذة. ولا أقصد هنا ان أبخس بعض الفضلاء والاساتذة في الحوزة العلمية تصديهم للخطابة وإحيائهم لمجالس الوعظ والارشاد، ولكن طموحنا أن تصبح تلك ظاهرة عامة مستساغة، وعرفاً شائعاً بين طلبة الحوزة العلمية وأساتذتها.

جيم- لا يمكن للخطيب ان ينجح في أداء مهمته على أكمل وجه

٥١- هو الفقيه آية الله الشيخ محمد باقر الإيرواني.

بعيدا عن الرعاية الابوية والدعم المعنوي من قبل المرجعية الدينية الكريمة فهي كهف الخطيب وملاذه، وركنه الركين، الذي يتطلع إلى وقوفها - كما عودته دائما- بالضد من اي نظرة استخفاف أو استهانة يمكن ان يتعرض لها في من بعض رجال الدين، وانه مهما بلغ من المثابرة والتحصيل العلمي لا يتعدى كونه (روزخونا) كما مر آنفا، فضلا عن رفد الخطيب بكل ما يمكن أن يسهم في تصحيح مسيرة المنبر، ويجعله اكثر عزة وفاعلية، وتأثيرا في أوساط الجماهير. على ان تشمل عناية المرجعية الدينية جميع الخطباء الذين يستحقون ذلك بتقديرها، بالاعتماد على آليات تضعها هي، وان يكون لها موقف صارم ممن يتبنى خطابا مولعا بإثارة الفتنة بين ابناء الدين، أو المذهب، أو البلد الواحد، أو الذين يستغفلون الناس ويستغلون محبتهم وتعاطفهم مع قضية الامام الحسين (ع) ليمرروا أوهامهم ويحققوا مصالحهم، أو يسمموا افكار الناس بخرافات وروايات لم ينزل الله بها من سلطان.

دال- عقد مؤتمر سنوي جاد تشرف عليه المرجعية الدينية مباشرة، يدعى له خطباء وباحثون اكاديميون يقومون بعملية نقد وتقويم للخطاب الحسيني، وتشخيص المشاكل والمعوقات التي تعترض طريق تقدمه، وتحول دون بلوغه أهدافه، عبر بحوث ودراسات تقدم بهذا الخصوص، ومن ثم يصار إلى تشكيل ورش من قبل المؤتمرين تأخذ على عاتقها تحويل تلك البحوث إلى برامج لتطوير المنبر، وترشيد مسيرته.

هـاء- من أجـل اثارة روح التنافـس الايجابي، وكيـما ينال كل ذي حق حقه، ولا يتقدم الفاشـل ويؤخر الناجح، وحتى لا يبرز التشـيع بصورة بائسة، وللحدّ من كل السلبيات التي يعاني منها المنبر الحسيني ممـا ذكرناه هنا، وما لم نذكره اقترح تشـكيل لجنة تتكون من فضلاء في الحـوزة العلمية ممـن ظفر بتكوين ثقافي حديث، إضافة إلى اشـخاص باحثـين ومثقفين اكاديميين تكون مهمتها تقييـم اداء الخطباء بعد كل موسـم، وتكريم المبدعـين والناجحين منهم ولـو رمزيا، وكذلك من مهامها تقديم مجموعة من العناوين المقترحة ليتم تناولها في محاضرات ذلك العام.

وصايا المرجعية للخطباء

تبنّت المرجعية العليا في النجف الأشرف المتمثلة بمرجعية السيد السيستاني (دام ظله) قبل شهر محرم الحرام لهذا العام (١٤٣٨هـ) بيانا نُشر على موقعها على شبكة الأنترنت، تضمن عشر وصايا تخص الخطاب الحسيني، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين.

﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب﴾

يطل علينا شهر محرم الحرام ونستذكر من خلاله اعظم حركة قادها المصلحون في مجال تطوير المجتمعات، وبعث إرادة الأمم وإصلاح الأوضاع، الا وهي الحركة الحسينية المباركة، واستذكار هذه الحركة المباركة يلقي على عواتقنا نحن أتباع الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) مسؤولية كبرى وهي مسؤولية الحفاظ على استمرار هذه الحركة وترسيخ اثارها وابعادها في النفوس والقلوب، ولا يخلو انسان حسيني من نوع من مسؤولية سواء كان عالما دينيا، أو مثقفا، أو متخصصا في مجال من مجالات العلوم المادية والانسانية المختلفة، فكل منا يتحمل مسؤولية الحفاظ على هذه الثورة الحسينية المباركة من خلال إصلاح نفسه وأهله وأسرته، ومن خلال قيامه بتوعية المجتمع الذي حوله بأهمية هذه الحركة وعظمة هذا المشروع الحسيني العظيم، ولكن الخطباء يتحملون المسؤولية الكبرى

بلحاظ انهم يجسدون الوجه الإعلامي لحركة عاشوراء ولمشروع سيد الشهداء (عليه السلام) ، ولذلك نحتاج أن نتوقف قليلا لنتساءل: هل ان المنبر الحسيني يقوم بتجسيد وتفعيل هذه المسؤولية بما ينسجم مع مقتضيات الزمان ومستجدات العصر بحيث يحقق الآثار الحسينية الشريفة في النفوس والقلوب؟

وانطلاقا من هذه النقطة نستذكر بعض الارشادات والنصائح لكل من يعلو منبر سيد الشهداء (عليه السلام):

١- تنوع الاطروحات، فان المجتمع يحتاج إلى موضوعات روحية وتربوية وتاريخية وهذا يقتضي ان يكون الخطيب متوفرا على مجموعة من الموضوعات المتنوعة في الحقول المتعددة تغطي بعض حاجة المسترشدين من المستمعين وغيرهم.

٢- ان يكون الخطيب مواكبا لثقافة زمانه، وهذا يعني استقراء الشبهات العقائدية المثارة بكل سنة بحسبها واستقراء السلوكيات المتغيرة في كل مجتمع وفي كل فترة تمر على المؤمنين، فان مواكبة ما يستجد من فكر أو سلوك أو ثقافة تجعل الالتفاف حول منبر الحسين (عليه السلام) حيا جديدا ذا تأثير وفاعلية كبيرة.

٣- تحري الدقة في ذكر الآيات القرآنية أو نقل الروايات الشريفة من الكتب المعتبرة أو حكاية القصص التاريخية الثابتة حيث ان عدم التدقيق في مصادر الروايات أو القصص المطروحة يفقد الثقة بمكانة المنبر الحسيني في اذهان المستمعين.

٤- ان يترفع المنبر عن الاستعانة بالاحلام وبالقصص الخيالية

التي تسيء إلى سمعة المنبر الحسيني وتظهره انه وسيلة اعلامية هزيلة لا تنسجم ولا تتناسب مع المستوى الذهني والثقافي للمستمعين.

٥- جودة الاعداد، بأن يعنى الخطيب عناية تامة بما يطرحه من موضوعات من حيث ترتيب الموضوع وتبويبه وعرضه ببيان سلس واضح واختيار العبارات والاساليب الجذابة لنفوس المستمعين والمتابعين، فان بذل الجهد الكبير من الخطيب في اعداد الموضوعات وترتيبها وعرضها بالبيان الجذاب سيسهم في تفاعل المستمعين مع المنبر الحسيني.

٦- ان تراث اهل البيت (عليهم السلام) كله عظيم جميل ولكن مهارة الخطيب وابداعه يبرز باختيار النصوص والاحاديث التي تشكل جاذبية لجميع الشعوب على اختلاف اديانهم ومشاربهم الفكرية والاجتماعية انتهاجا لما ورد عنهم (عليهم السلام) (إنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)، ومحاسن كلامهم هو تراثهم الذي يتحدث عن القيم الانسانية التي تنجذب إليها كل الشعوب بمختلف توجهاتها الثقافية والدينية.

٧- طرح المشاكل الاجتماعية الشائعة مشفوعة بالحلول الناجعة، فليس من المستحسن ان يقتصر الخطيب على عرض المشكلة كمشكلة التفكك الاسري أو مشكلة الفجوة بين الجيل الشبابي والجيل الاكبر أو مشكلة الطلاق أو غيرها، فان ذلك مما يثير الجدل دون مساهمة من المنبر في دور تغييري فاعل، لذلك من المأمول من رواد المنبر الحسيني استشارة ذوي الاختصاص

مـن اهل الخبرة الاجتماعية وحملة الثقافـة في علم النفس وعلم الاجتـماع في تحديـد الحلـول الناجعـة للمشـاكل الاجتماعيـة المختلفة ليكون عرض المشـكلة مشـفوعة بالحل عرضا تغييريا تطويريـا ينقل المنبر من حالة الجمـود إلى حالة التفاعل والريادة والقيادة في اصلاح المجتمعات وتهذيبها.

٨- ان يتسامى المنبر الحسيني عن الخوض في الخلافات الشيعية سـواء في مجـال الفكـر أو مجـال الشـعائر فـان الخـوض في هذه الخلافات يوجب انحيـاز المنبر لفئة دون أخرى أو اثارة فوضى اجتماعية أو تأجيج الانقسام بين المؤمنين، بينما المنبر راية لوحدة الكلمـة ورمـز للنـور الحسـيني الذي يجمـع قلوب محبي سـيد الشهداء (عليه السلام) هي مسار واحد وتعأون فاعل.

٩- الاهتـمام بالمسـائل الفقهيـة الابتلائيـة في مجـال العبـادات والمعاملات، وعرضها باسـلوب شـيق واضح يشـعر المسـتمع بمعايشة المنبر الحسيني لواقعه وقضاياه المختلفة.

١٠- التركيـز على أهميـة المرجعية والحـوزة العلميـة والقاعدة العلمائيـة التـي هـي سر قـوة المذهـب الامامـي ورمـز عظمتـه وشموخ كيانه وبنيانه.

نسـال الله تبـارك وتعـالى للجميـع التوفيـق لخدمة طريق سـيد الشهداء (عليه السلام) وان يجعلنا جميعا وجهاء بالحسين (عليه السـلام) في الدنيـا والاخرة. والحمـد لله رب العالمين والصلاة على محمد واله الطيبين الطاهرين.[٥٢]

52- http://www.sistani.org/arabic/archive/25463

وقفة مع بيان المرجعية

لم يكـن هذا البيـان منطلقا من فـراغ بل من ادراك تـام لخطورة ما وصل إليه الخطاب الحسيني من وضع بائـس، وضحالة واضطراب في الغالب، ولو قدّر ان يلتزم الأخوة السـادة الخطباء المحترمون عامة بهـذه الوصايـا لأحدثـوا نقلة نوعية هائلة في مسـتوى هـذا الخطاب، وانقلابـا في الوعـي والثقافـة الدينيـة لدى عمـوم مسـتمعيهم، وهو مـا يحتاجه المجتمـع العراقي في واقعـه الراهن، حاجة بحجم مآسـيه التـي يعـاني منها، ومشـاكله التي تعصـف بأمنه واسـتقراره، وأزماته التـي تهـدد حاضره ومسـتقبله. لذا جـاء التركيز في البيـان على تجنب الخرافة ورفض تسـطيح الوعي، والتجهيـل الممنهج، وتغييب الوجه الحضاري للإسـلام، والتشـيع. مع ذلك كله نجد بعضـاً ممن امتهنوا الخطابـة اصبحـوا مولعـين بـكل ماهو ضعيف وشـاذ مـن الروايات فأضحى خطابهم مثيرا للشـفقة، وباعثا على السـخرية والتندر، وربما لم يخلـوا من تجاوز عـلى مكانة آل البيـت (عم). كمن يريـد ان يعرّف الملح لمسـتمعيه فيقول لهم: الملح هو محمد وآل محمد، أما كيف ذلك؟ فيُكمل قائلا: الميم تعني محمدا، واللام لا فتى إلا علي، والحاء الحسن والحسين (ع)، لكنه لم تسعفه مهارته في إيجاد ما يدل على الزهراء (ع) في ملحه، أو أنها سـلام الله عليها لم تكـن من آل البيت (ع) في نظره!! بـل ربما بلغ التجاوز مديـات غير معهودة سـابقا كالتجاوز على مقام الربوبية، والذات الالهية المقدسـة، فقد تمـادى أحدهم أن تحدى مقام الربوبيـة على أن يبكيه عـلى مصيبة الإمام الحسـين (ع)، أو أن الطفلة

رقيـة بنـت الإمـام الحسـين (ع) تحيـي وتميت حسـب زعمـه! وهذه لعمري طامة كبرى.

كـما وردت دعـوة الخطبـاء إلى ان يكونـوا ملمّـين بثقافـة زمانهـم ومطلعين عـلى التيـارات الفكرية، والشـبهات العقائدية، والمشـاكل المختلفـة التـي يواجههـا المجتمع كـي ينطلقـوا لمعالجتها عـن بصيرة ورؤية واضحتين.

ناهيك عن اشارة البيان الواضحة إلى تحري الدقة من قبل الخطيب في نقـل الايات القرانيـة، والروايات من الكتـب المعتبرة، وترك ما لا سند معتبر له ولا دليل عليه، وتجنب القصص المثيولوجية، والحكايات الخرافية، أو مـا يتصادم مع العقل والمنطق، ورفض المبالغات فان كل هـذا يجعـل الناس وبصـورة خاصـة الطبقـة المتعلمة تبتعـد عن المنبر وتفقد ثقتها به.

حدث أن اتصل بي قبل أيام شـاب جامعي ليباغتني بالسـؤال عن أقـصى عمـر يمكن أن يعيشـه الحوت، قلـت له: يذكر علـماء الحيوان المختصـون إن أقـصى مـدة يمكن أن يعيشـها الحوت تبلـغ قرنين من الزمن، ولكني سـألته عن سبب سؤاله الغريب هذا فأجابني: انه كان يستمع إلى خطيب يروي من على المنبر رواية ملخصها: إن عبد الله بن عمـر اسـتنكر على الإمام زيـن العابدين (ع) قولـه: إن نبي الله يونس خالف ولايتنـا فعاقبه الله أن ابتلعه الحوت، فأراد الإمام اثبات صحة ذلـك لعبـد الله فأمر بأن يؤتـى بعصابتين تغلق بهما عينـاه، وعينا أحد أصحاب الإمام الذي أراده الإمام كشـاهد على ما سـيحدث. ثم بعد

قليل أمر الإمام بفتح العصابتين وإذا بهما على ساحل بحر، فتكلم الإمام بكلام فجاءت الحيتان من كل حدب وصوب، وكلها تصيح لبيك يابن رسول الله -هكذا-، فقال الإمام: ليس أنتم قصدت، إنما أقصد صاحب النون، أي صاحب يونس الذي ابتلعه، فجاء أحد الحيتان، وسلم على الإمام بالإمامة. فسأله الإمام قائلا: لماذا ابتلعت يونس؟ قال الحوت: عرضت عليه ولاية علي بن أبي طالب فرفضها، فكانت عقوبته أن يكون في بطني في الظلمات!!!

أيسعى هذا الخطاب أن يحتفي به ابناؤنا؟ أمثل هذا الخطاب قادر على إيقاظ عقولهم؟ طامة كبرى حين يتلقى ابناؤنا عن طريق المنبر شبه هذا الخطاب الساذج، والمعلومات المتهافتة، إذ ستخلق عندهم حالة من الإرباك والتشويش في متبنياتهم الفكرية، وقناعاتهم الثقافية فنحن من جهة نكرر على أسماعهم أن مدرسة أهل البيت (ع) تتبنى القول بعصمة الأنبياء المطلقة، وأن علمائنا (حفظ الله الباقين ورحم المتوفين منهم) لم يدخروا جهدا للتدليل على ذلك بأدلة عقلية ونقلية، لنأتي من جهة أخرى ونسمعهم امثال هذا الكلام الذي يحمل طعنا صريحا بعصمة الأنبياء عليهم أزكى السلام وأفضل الصلوات! ثم هل افتقرت ساحة أهل بيت النبي (ع) إلى الفضل كي نضطر أن نرفع مقامهم بالحط والنيل من مقام الأنبياء؟.

هذا وقد اكد سماحة المرجع على عدم الاعتماد على الاحلام والرؤى والاستدلال بها على المدعى فان ذلك كله يسهم في تراجع مستوى المنبر، ويضطرّه للتنازل عن مكانته المؤثرة ليصبح حينذاك

أداة للهدم لا البناء، ويصبح ضرره اكبر من نفعه.

لم يفت البيان أن يشير إلى نقطة غاية في الأهمية ترتبط باهتمام الخطيب بمستمعيه واحترامه لهم. يتجلى ذلك ليس في عملية اعداده البحث فحسب فانه يعتبر تلك قضية مفروغا منها وانما في توخي الدقة وزيادة الاهتمام بذلك. تبتغي المرجعية الكريمة من ذلك الوقوف بوجه الإستخفاف بالمنبر، والإستهانة بالمستمعين فيعتلي الخطيب المنبر بلا إعداد ولا تحضير سابق للخطبة، فلا يعرف عمّاذا يتحدث بل يعتمد على ما تجود به ذاكرته.

يقرر البيان انه لا بدّ للخطيب ان يعنى باختيار موضوعاته عناية فائقة، ويهتم بترتيب البحث وتبويب مطالبه ومن ثم عرضه بطريقة محبّبة وليست منفرة. فلا يكفي ان تكون الفكرة حقة ان لم يكن الرداء الذي يكسوها جذابا على نحو يسهم في انجذاب الناس للمنبر، وتأثرهم ببريقه.

ثم يشير البيان إلى قضية في الصميم من مهمة المنبر الحسيني لا يعيرها بعض السادة الخطباء ما تستحق من الاهتمام وهي ان لكل مقام مقالا كما جاء في المثل العربي المعروف، إنطلاقا منه يؤكد البيان على أنه ليس بالضرورة كل حديث صحيح يعني امكان نقله على المنبر فضلا عن غير الصحيح والضعيف. ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) قوله: وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره. وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تُسمعه نُكرا يمكنك أن توسعه

عـذرا[٥٣]، وكذلك روي هذا المضمون عن الإمام أمير المؤمنين (ع) كما في مسـتدرك نهج البلاغة، ومؤداه عدم ضرورة ان يقول الخطيب كل ما يؤمن به مما يصعب على الناس تصديقه وإن كان يمتلك عليه دليلا. مجرد حيازته إثباتا على مدعاه لا يسوغ ان يقول كل ما يؤمن به.

كـما لا بدّ مـن انتقاء الاحاديـث ذات الدلالة على القيم الانسـانية المتفـق عليها عند جميـع الطوائـف والمعتقدات، والتـي ينجذب إليها الجميع على اختلاف انتمائاتهم على أسـاس ان وظيفة المنبر جمع شـمل الأمـة لا تمزيقها، وأن يتجاوز تأثيره المؤمنين به إلى سـواهم. ورد عن أبي الطفيـل عامر بن واثلة، قال: قال الإمام أمير المؤمنين (ع): أتحبّون أن لا يُكـذَّب الله ورسـوله، حدّثـوا النـاس بما يعرفون وأمسـكوا عمّا ينكـرون[٥٤]، ومن نوادر ما وقع لبعضهم لعـدم مراعاة قواعد المواءمة بين الخطاب ومناسـبته، إذ دعي إلى إلقاء خطبة بمناسبة شراء أحدهم دارا جديـدة فـما كان منه إلا أن افتتح خطبتـه بمقطع من كلام للإمام عـلي (ع) يقـول فيـه: (دار بالبـلاء محفوفـة وبالغدر معروفـة لا تدوم أحوالهـا ولا يسـلم نزّالها. أحوالهـا مختلفة وتارات متصرفـة والعيش فيهـا مذموم والأمـان فيها معدوم وإنما أهلها فيها أغراض مسـتهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها...الخ)[٥٥]. فكانت خطبته مثار شؤم على أصحاب الدار.

٥٣- العلامة الطبرسي. الاحتجاج. ج٢ ص٥٢، المقرم. زين العابدين. ص١٧٦.

٥٤- الكليني. الكافي. ج١ ص١٢ ح١٥ من كتاب العقل والجهل، البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم ح١٢٧ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية لا يفهموا.

٥٥- الشريف الرضي. نهج البلاغة. خطبة٢٢٦.

ثم أَوضَحَ البيان ان على الخطيب ان يركّز على ما يوحّد أفراد المجتمع ويحقق لهم التعايش بأمن وسلام من خلال البحث عن المشتركات بينهم والتركيز عليها، ويتجنب ما يفرّق، ويثير الضغائن والاحقاد. لا كما كان أحدهم يقول في حديث عامّ على المنبر: أن الأكراد قوم من الجن!، أو من يلعن رموز ومقدسات الآخرين، أو ثالث يحرض على غير المسلمين إما بمقاتلتهم باعتبارهم كفارا، أو يدفعون الجزية!! لا أدري ما جدوى هذا الخطاب الهجائي، التحريضي الا الفتنة وإثارة النعرات، وتعبئة نفوس أبناء البلد الواحد بالحقد والعداوة. هذا والمتابع يلحظ أن مجالس أئمة أهل البيت (ع) كانت عامرة بمختلف أطياف المجتمع ولم يقتصر حظورها على الموالين للإمام وشيعته بل كانت تحوي الآخر الديني والمذهبي أيضا، وما كان ليتحقق ذلك لولا المنطلقات الإنسانية، والأفق الرحب، والخطاب المحبب الذي كان يتبناه الأئمة (ع). يروى أنه كان يتردّد رجل من أهل السواد على الإمام الصادق (ع) فانقطع عنه، فسأل عنه، فقال بعض القوم: إِنّه نبطيّ، يريد أن ينال منه، ويضع من قدره، فقال عليه السلام : أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستوون[٥٦]. لم يتردد المسيحي النبطي أن يكون أحد رواد مجلس الإمام، كما لم يمنع كونه نبطي أن يتفقده الإمام حال غيابه، وكذلك ورد في رواية أخرى تتحدث عن شخص مجوسي ايضا كان ملازما لمجلسه سلام الله عليه، وجرى نظير ذلك كثير مع سائر أئمة أهل البيت (ع).

٥٦- سبط ابن الجوزي. تذكرة الخواص. ٣٤٣.

العنصر الخامس: الكتّاب، والباحثون الاكاديميون.

هـذه الشريحة من شرائح المجتمع ايضا غير مسـتثناة من المسـاهمة الفاعلة في مشروع تجديد المنبر الحسيني بل ربما وقعت عليها المسؤولية الاكـبر باعتبارها الرائـدة، صاحبة الادراك الأوسـع والرؤية الابعد، والتي لها القدرة على تشخيص الآفات التي يعاني منها مجتمعها. وفرز الخطاب المنتج، النافع عن غيره. فتتجسد مسؤوليتها في:

ألـف: المواضبة على حضـور المجالس، وعـدم مقاطعتها والترفع عن المشـاركة فيهـا، واخلاء السـاحة منهم، كيما يقومـوا بدورهم في التقويم والتصحيح، ونقد الظواهر السـلبية، ومحاورة الخطيب، وابـداء الـرأي في عملية اختياره، واقـتراح المواضيع المفيدة، وغير ذلك.

بـاء: رفد الخطباء بالبحوث والدراسـات حول القضية الحسـينية، بـل عمـوم القضايا التي تهم المجتمـع وتعالج مشـاكله التي يعاني منها من أوجهها المختلفة، وكذلك كل ما يصب في سبيل النهوض بالمنـبر وتطويره، ففي نفس الوقت الذي يكون فيه الخطيب مطالبا ان تكون ثقافته موسوعية يبقى ليس منطقيا ان نفترضه محيطا بكل جوانب المعرفة خصوصا القضايا التخصصية كالتحليل التاريخي، وما يرتبـط بعلوم التربية ومناهجها. على سـبيل المثال الإشـكالية التـي يعـاني منهـا الآبـاء بصـورة عامـة في عـلاج الازدواجيـة في السـلوك التي أصيب بها النشـئ الجديد نتيجـة تخبط التربويين بين المناهـج والاسـاليب القديمة في التربية وبـين التحديات المعاصرة

التـي تواجههـا الاجيـال الجديدة وغـير ذلك من إشـكاليات، أو المشـاكل التي اصبحت تعـاني منها الأسرة المسـلمة نتيجة التطور التكنلوجـي الهائـل الذي أخـذ يفـرض عليها تحديـات جديدة لم تدخـل في حسـاباتها سـابقا. مطلوب من الباحثـين والمتخصصين ان يقدموا دراسـات تعالـج هذه الظاهرة وغيرها كي يسـتعين بها الخطيب ويتمثلها في خطابه.

جيم: لابد من إنشـاء مؤسسـات وعمل برامـج تلفزيونية مهمتها الرئيسـة متابعة المحاضرات الدينية، والحسـينية، ومن ثم مناقشـة تلك المحـاضرات مع ضيوف متخصصين من أكاديميين وغيرهم، وحبـذا لـو تم ذلك بحضـور الخطيب نفسـه. كي تتـم عملية نقد وتمييـز ما يلقـى على المنابـر والفضائيـات في كل موسـم في حينه، بنحـو يتم إبراز الجوانب الإيجابية، ومناقشـة السـلبي منها بطريقة علمية محترمة.

تطور المنبر الحسيني:

مـر المنـبر الحسـيني في مسـيرته بعـدة أطـوار، ومراحـل بـدءا من المرحلة التأسيسـية الأولى إلى عصرنا الحـاضر[٥٧] ، خلقت فيه تحولات وتطورات رسـمت ملامحه الحالية. كانت بداياته لا تعدو تلاوة شـعر الرثاء الحاكي عن مأسـاة مقتل الإمام الحسـين (ع) ومن معه وسـبي عياله، وقد اشتهر بذلك مجموعة من الشعراء في مختلف العصور، ففي

٥٧- لمزيد من التفصيل راجع، الخرس، محمد بن جواد، د. تاريخ تطور الاغراض الخطابية في المنبر الحسيني عبر ادواره الثلاثة.

العهد الاموي برز الكميت بن زيد الاسدي[٥٨]، والسيد الحميري[٥٩]، وغيرهما، وفي العهد العباسي اشتهر منهم دعبل الخزاعي[٦٠]، وإبراهيم بن العباس الصولي[٦١]، وآخرون، وكان يطلق على هذه المجالس في القرون الأولى (النياحة)، ومن يقوم بتلاوة الشعر (النائح والنائحة)، وكانت مجالس النياحة تعقد غالبا في بيوت أهل البيت النبوي، ثم في بيوت الموالين لهم، وممن اشتهر من النائحين أبو هارون المكفوف[٦٢]، وأبو عبد الله جعفر بن عفان الطائي الكوفي[٦٣]، وأبو عمارة المنشد[٦٤] المعاصرون للإمام جعفر الصادق (ع)، ومن النائحات درة النائحة[٦٥] في القرنين الثالث والرابع الهجري، والنائحة خلب[٦٦] من أهل بغداد في القرن الرابع الهجري.

٥٨- الحلو، مضر. أعلام الكوفة: ج٦ ص ١٧٢.

٥٩- ن. م. ج١ ص ٣٢٥.

٦٠- ن. م. ج٣ ص ٩٥.

٦١- الكرباسي، الشيخ محمد صادق. دائرة المعارف الحسينية معجم الشعراء الناظمين في الحسين: ج١ ص١٥٠، الزركلي، الأعلام: ج١ ص٤٥، الأمين، السيد محسن. أعيان الشيعة: ج٢ ص ١٦٨.

٦٢- كامل الزيارات: ١٠٥، الشيخ الصدوق. ثواب الاعمال: ٨٣.

٦٣- الحلو، مضر. مصدر سابق: ج٢ ص ٨٧.

٦٤- الخوئي، السيد. معجم رجال الحديث: ج٢١ ص ٢٥٧، رقم ١٤٥٩٦، الكرباسي، الشيخ محمد صادق. دائرة المعارف الحسينية معجم خطباء المنبر الحسيني: ج١ ص ٣١٨.

٦٥- المفيد، الشيخ. الأمالي: ٩٤.

٦٦- نشوار المحاضرة: ج٢ ص ٢٢٣، شمس الدين، الشيخ محمد مهدي. ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: ٢٥٩.

ثـم تطور المجلس الحسـيني وصـار يُقرأ فيه المقتل لابـن نما، وابن طاووس، ونحوهما فسـموا بالقرّاء، أو قارئ الحسـين[٦٧]، «فظهر عدد مـن الخطباء المحدّثين والقصاصين الذين كانوا يذكرون سـيرة الإمام الحسين ومقتله للناس، وقد قال الإمام الصادق (ع) عنهم عندما سمع بأنبائهـم: بلغني أن قوما يأتونه - قبر الحسـين - مـن نواحي الكوفة، وناسـا من غيرهم، ونسـاءً يندبنه، وذلك في النصف من شعبان فمن بـين قارئ يقرء، وقصـاص يقص، ونادب ينـدب»[٦٨]، فدخلت قراءة مقتـل الإمام الحسـين (ع) وسـيرته كعنصر جديـد في تكوين الخطابة الحسـينية، جـاء في كتاب تاريـخ النياحة: «وفي سـنة (٦٤١ هـ) تقدم المسـتعصم إلى جمـال الديـن عبد الرحمـن بن الجوزي المحتسـب بمنع الناس من قراءة المقتل في يوم عاشـوراء والإنشـاد به في سـائر المحال بجانبي بغداد، سوى مشهد موسى بن جعفر (ع)»[٦٩].

ثم توسـع الخطيب وصار يتلو سـيرة الإمام الحسـين (ع) في كتب أعدت لذلـك أمثال كتاب (المنتخب من المراثـي والخطب) المعروف بالفخـري، للشـيخ فخر الديـن الطريحـي النجفـي (ت ١٠٨٥ هـ)، وكتاب المجالس في أيام عاشـوراء، للشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٣٠٨ هــ)، وكتـاب مثير الأحزان، للشـيخ شريـف الجواهري (ت ١٣١٤ هـ)، وغيرها.

٦٧- راجع الحيدري، إبراهيم. تراجيديا كربلاء: ٥٣.

٦٨- الكرباسي، مصدر سابق: ج١ ص ٤٤ عن كامل الزيارات: ص ٣٢٥.

٦٩- الشهرستاني، السيد صالح: تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي: ج٢ ص ٢١.

المجددون في المنبر الحسيني المعاصر:

شهد القرن العشرين تجارب عديدة للنهوض بالمنبر الحسيني، وأسماء لامعة تصدت لتطويره والارتقاء به شكلا ومضمونا، إلى حيث التألق، والعطاء، والعقلانية، بحيث لم يعد مقتصرا على عرض مأساة كربلاء بل أخذ يدخل آفاقا جديدة لم يدخلها من قبل ترتبط بحركة التطور التي تشهدها الحياة، إضافة إلى بناء الشخصية الإسلامية فكريا وثقافيا، وكان لعلماء حوزة النجف الأشرف العلمية وخطبائها شرف المبادرة بذلك إذ يلاحظ أن غالبية أصحاب مشاريع تجديد الخطابة الحسينية وتطويرها إن لم يكن جميعهم تخرجوا من مدارسها، ونهلوا من علومها، وفيهم مراجع، وأساتذة، وخطباء ربما بلغوا مرتبة الاجتهاد كالخطيب السيد صالح الحلي (ت ١٩٣٩م)[٧٠]، أو راهقوها أو على أقل تقدير كانوا من أفاضل طلبتها. سأذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر، ممن كانوا ينحون منحى إصلاحيا في مسيرة المنبر الحسيني، مع التركيز على مساهماتهم في بث روح التجديد والإصلاح فيه وبإيجاز شديد. طبعا مع كامل الاحترام والتقدير لكل الحوزات العلمية الأخرى للمسلمين الشيعة، ولا ينقص ذلك من عطائها وجهودها في هذا السبيل. كما أني سوف أعرض عن الحديث عما عاناه هؤلاء المصلحون والمجددون من تحديات قاسية تجسدت بالأذى والنيل منهم، فهو مؤكدا ليس قليلا، يقول أحدهم: «..فقد

٧٠- الأميني، محمد هادي: معجم رجال الفكر والأدب في النجف، ج١ ص٤٤٤. الخليلي، جعفر. هكذا عرفتهم: ج١ ص ١٠٨.

سـمعت كلمات سخرية شديدة منهم – يقصد الرافضين للتجديد– فسكت... الخ»[٧١].

١- الشيخ كاظم السبتي (ت ١٩٢٠م):

أحـد الأسـاتذة الفضـلاء في الحـوزة العلمية في النجـف الأشرف، بلـغ رتبـة الاجتهاد في الدراسـات الحوزوية. نبغ في الخطابة الحسـينية، يعـدّ أول من اسـتطاع أن ينتقل بالخطبة من الأسـلوب التقليدي الذي كان سـائدا آنذاك والذي يتمثل في تلاوة السـيرة الحسينية نصا من أحد الكتـب التي أشرنـا إليها آنفا إلى خطبة معدّة إعـدادا علميا تدور حول موضوع واحـد أو موضوعات عدة، تلقى عن ظهر قلب، ثم يتخلص منهـا الى العـزاء وذكـر فاجعة كربـلاء، وكذلك أدخل نهـج البلاغة في الخطبة الحسينية وكان يبتدئ المجلس بمقطع من خطبة للامام علي (ع) ثم يتخلص منها بما يسمى (الكوريز)[٧٢] الذي ابتكره هو أيضا، ويقصد به الانتقال بإنسـيابية ولباقة من الموضوع إلى الخاتمة دون إحداث فجوة تربك الخطبة. فأطلق المنبر إلى مسـاحات أوسع، ولم يجعله مقتصرا على الرثـاء فحسـب بل حوله الى وسـيلة تربويـة تثقيفية بالاضافـة الى ذكر حوادث التاريخ، البعد المأسـاوي المرتبط باستشهاد الإمام الحسين، أو غيره من أهل البيت (ع)، فاستقبل الناس ذلك استقبالا كبيرا لائقا[٧٣].

٧١- الوائلي. الشيخ أحمد: تجاربي مع المنبر، ١٠٩.

٧٢- الكوريز: كلمة فارسية الأصل تعني التخلص.

٧٣- محبوبة، الشيخ جعفر: ماضي النجف وحاضرها: ج٢ ص ٣٤٠ ، والحلو، مضر. مجلة رسالة.

٢- السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٩٥٢م):

مرجع ديني بارز، صاحب موسوعة (أعيان الشيعة) الشهيرة، لم يمنعه مقامه الديني الرفيع من حمل هم إصلاح الخطاب الحسيني[٧٤]، رغم انشغالاته بالدراسات الفقهية وغيرها، حاول أن يقدم للخطباء مادة تاريخية وأدبية ووعظية منقحة فألّف عدّة «كتب خاصة بتاريخ سيرة الحسين (ع) وقد عرض لهذه السيرة عرضا مجردا من كثير من الشوائب والأكاذيب على قدر الإمكان لاتخاذها مصدرا لخطباء المنابر الحسينية .. الخ»[٧٥] منها كتاب (المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية) انتقى فيه من أصح الروايات، ونزّهه عما يتداوله البعض من الخرافات والمبالغات، وما لا دليل عليه، وكتاب (إقناع اللائم على إقامة المآتم)، وكتاب (التنزيه لأعمال الشبيه)، وكتاب (لواعج الأشجان في مقتل الحسين)، وكتاب (الدر النضيد في مراثي السبط الشهيد)، وكتاب (في رحاب ائمة أهل البيت)، وغيرها.

٣- السيد هبة الدين الشهرستاني (ت ١٩٦٧م):

واحد من مراجع الدين الشيعة[٧٦] متعدد المواهب ومتشعب الاهتمامات، مسكون بهمّ الإصلاح والتجديد، دعى إلى تنزيه المنبر الحسيني من الخرافات والأساطير، والاعتماد على المعلومة الصحيحة

٧٤- الحسين. العدد الأول. ص ١٨٧ . الحيدري، إبراهيم: تراجيديا كربلاء، ٤٤٩ .

٧٥- الخليلي، جعفر: مصدر سابق: ج١ ص ٢٠٦ .

٧٦- ن. م. ج٢ ص١٩٥ ، الحيدري، مصدر سابق، ٤٤٨ .

المتقنـة، والتاريخ المحقـق، له كتاب (نهضة الحسـين)، ومقالات بهذا الصدد نشرها في مجلة العلم التي اصدرها نفسه آنذاك.

٤- الشهيد السيد محمد باقر الصدر (أعدم ١٩٨٠م):

مرجـع دينـي، يعـدّ أحـد نوابـغ الحـوزة العلميـة في النجـف الأشرف، شـغله موضـوع التجديد في المنبر الحسـيني، كان يطلب مـن طلبته أن يمارسـوا الخطابة في المدن المختلفـة دون أن يتقاضوا مبالـغ ماليـة كـما هو المتعـارف في هـذا المجـال، كي يسـتغنوا عن النـاس، ومن ثم يكـون لكلامهم تأثير أكـبر. وكان رحمه الله تعالى هو يعوضهم عن ذلك.

كان يخطط لمشروع واعد في سـبيل تطوير المنبر الحسـيني لو لا أن السـلطة الجائـرة في العـراق عاجلته فنالت منه باعتقالـه ثم نفذت فيه حكـم الاعـدام. يحكي المرحـوم عميد المنبر الحسـيني الشـيخ الوائلي يقـول: .. ومـن الهموم التي شـغلت بالـه – يقصد الشـهيد الصدر– قضية المنبر الحسـيني، وكان يدعوني إلى تحمل شيء من مسؤولية المنبر ولو بعمل بسـيط يتطور بعد ذلك، وبعد مداولات كثيرة انتهى الأمر إلى أن قال: لك عليّ الأمور التالية:

أولا: أن أدمـج خطباء المنبر بالحـوزة العلمية حتى يحصلوا على ما يحصل عليه طالب العلم من مكاسـب ماديـة، وروحية، وعلمية، وبذلك تزول كثير من المشاكل عن طريقهم.

ثانيـا: أن أعمـل على إيجاد صيغـة تؤمن لهـم – أي للخطباء– ضمانا لأيام عجزهم حتى لا يتعرضوا للذل أو ضياع كما هو الوضع السائد.

ثالثـا: أن تكـون لهـم مؤسسـة مركزية يصـدرون عنهـا في مناهج موحـدة، وتوجيهات تصـدر لهم في ذلك كما تعمل هذه المؤسسـة عـلى التعريـف بهـم في داخل العـراق وخارجـه ممـا يعطيهم زخما ومكانة معترف بها، وتكون المؤسسة تحت ظل المرجعية.

كانـت هذه أبرز ملامح الفكرة، إضافة إلى تكليف الشـيخ الوائلي بأن يضع خبرته في خدمة هذا المشروع.[٧٧]

٥- الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٩٦٤م):

فقيـه شـيعي بـارز، كان يشـغله هاجـس الإصلاح، أسـس جمعية منتـدى النشر، ومعهدا لتعليم الوعظ والارشـاد وكان هدفه تدريس وتدريب خطباء المنبر الحسيني وتزويدهم بالمعارف العلمية والتاريخية الضرورية لكل خطيب، كان ثمرتها الاولى على قصر مدتها بسبب حملة المعارضة الشـديدة لها من قبل بعض المتضرريـن منها، أعلام الخطابة الحسـينية كالشيخ محمد جواد قسام، والسيد جواد شبر، والشيخ احمد الوائـلي، والسـيد عبد الحسـين الحجار، والشـيخ مسـلم الجابري[٧٨]، وآخرين.

٦- الشيخ محمد علي اليعقوبي (ت ١٩٦٥):

أحد العلماء والأدباء، أجازه المرجع الشـيخ محمد حسـين كاشـف الغطاء إجازة أشـبه ما تكون بإجازة الإجتهاد في الفقه والأصول على

٧٧- الوائلي. الشيخ أحمد: مصدر سابق، ١٤٢.

٧٨- ن. م. ج٢ ص ٢٥، الحيدري، مصدر سابق، ٤٤٧.

حد قول معاصره جعفر الخليلي[٧٩]. تصدى للخطابة الحسينية فاستوى من خطباء المنبر الحسيني المبرزين، وممن نهض بالخطاب المنبري الى مراتب متقدمة، جاعلا من المنبر الحسيني منبرا تربويا، وجهازا تثقيفيا، وأعطى دفعا قويا لتطور المجلس الحسيني، كما ساهم في بلورة ونمو المنهج الخطابي الجديد الذي اختطه سابقه الشيخ السبتي لما كان يمتلكه اليعقوبي من مؤهلات علمية وأدبية «فكان يبدع بما يورده من شواهد وأمثال على محاضرته، ويرصّع المحاضرة بالشعر والنصوص الأدبية ثم يربط ببراعة من حسن التخلص بين موضوعه وبين ذكر شهادة الحسين (ع)»[٨٠].

٧- الشيخ أحمد الوائلي (ت ٢٠٠٣م):

أشهر خطباء المنبر الحسيني المعاصر، تفرد بزعامته بلا منازع لما يقرب من نصف قرن، إلى حين وفاته (رحمه الله تعالى)، ملك ناصية الخطابة الحسينية، وقاد عنانها. وأحدث نقلة نوعية فيها فكان يمثل الحلقة الثانية في سلسلة اصلاح وتجديد الخطابة الحسينية بعد الشيخ كاظم السبتي.

أدرك الشيخ الوائلي مبكرا حاجة المنبر الحسيني للتجديد، والتطوير ليكون بمستوى التحديات التي يواجهها المجتمع خصوصا وأن المنبر اصبح الوسيلة الاكثر فاعلية، وتاثيرا في التثقيف

٧٩- ن. م. ج٢ ص ١٤٨.

٨٠- ن. م. مع قليل من التصرف.

الاجتماعـي وصناعة الرأي العام الديني والسـياسي حتى، فاجتهد أن يبتكر اسـلوبا قادرا على اسـتقطاب الجماهير ويلبّـي حاجات عصره، وكان لـه مـا اراد بعـد ان ادخـل عناصر جديـدة في الخطبة الحسـينية كتفسـير القرآن الكريم، فكان أول من اسـتهل الخطبة بآية من القرآن الكريم ثـم يشرع بتفسيرها، كما استعان ببعض حقائق العلوم، وطرح الافكار، والآراء ومناقشـتها بإسـلوب علمي، وبيان مدى انسجامها او بعدهـا عـن الرؤيـة الإسـلامية، وتطعيـم كل ذلـك بشـواهد من الأدب سـواء الشعر او القصص او الحوادث التاريخية حتى أصبحت الخطبـة أقـرب الى المحـاضرة العلمية. هذا فضلا عـن اهتمامه بالجمع بـين المنهجـين الحـوزوي التقليـدي والاكاديمي الحديث في دراسـته فهـو اول خطيب حاز درجة الدكتوراه في النجف الاشرف بل ربما في الفضاء الشـيعي بصورة عامة. يقرر المرحوم الشيخ الوائلي في معرض حديثـه عن الفترة الإنتقالية مابين المرحلـة القديمة التقليدية والمرحلة الجديدة، يقول: «وخلال هذه الفترة وقبل انتقالي إلى الفترة التي تليها كان يعتمـل في ذهني أن هذا النسـيج الذي يعتمـد عليه المنبر ليس مما ينبغي أن يكون عليه المنبر وإن لامس مشاعر رواده وأرضى عواطفهم ومـلأ عندهـم أوقاتهم بشيء ما، بـل لا بد أن يختط المنـبر طريقة يقود بهـا مجتمع السـامعين إلى ما هو أفضل، ولا يقـف عند درجة معينة بل إذا صعـد درجة يتخذها سـلمه للثانيـة وهكذا. كما لا بـد من اختيار مادة تستقطب جمهورا نشأ حديثا وهو جمهور المدارس الرسمية الذين

تثقفـوا بعلوم حديثة وصاروا يتخذون منها مقياسـا يعرضون عليه ما يسمعونه من معلومات دينية... الخ»[٨١]

٨- السيد جابر أغائي (ت ٢٠٠٨م):

أحد مشـاهير الخطبـاء، وأعلام المنـبر الحسـيني المعاصرين، مثقف شـجاع، يهابه الجميع، صاحب طاقة مبدعة في الخطابة الحسـينية، يتميز بإسـلوب عذب لا يمل سماعه، برع بمنهجه التاريخي الذي كان يوظف فيـه وقائع التاريخ لمعالجة المشـاكل التي يعاني منها المجتمع، سـواء على الصعيـد السـياسي، أو الاجتماعي، أو بعض الممارسـات المحسـوبة على الدين. مسـتخدما أسلوب النقد اللاذع المسـتفز بجرأة متناهية، وكانت لـه الفـرادة في ابتكار النكتـة وتوظيفهـا توظيفا ناجحا لتسـليط الضوء على التشـوهات التي اصبحت سـمة ملازمة للمجتمع والتي يتحاشى الكثيرون الاقتراب منها أو التعرض إليها لئلا يألّبوا عليهم الجماهير، ما صنع له جبهة من الخصوم والأعداء ولكنه لم يكن ليعبأ بها[٨٢] .

٨١- الوائلي. الشيخ أحمد: مصدر سابق، ١٠٥.

٨٢- راجع صحيفة الوسط البحرينية. عدد: ٢١٥٣. بتاريخ: ٢٩/ ٧/ ٢٠٠٨.

التجربة البحرينية
في إحياء الشعائر الحسينية

تتجلى التعبيرات المختلفة التي تشكل بمجملها النسق العام المعبّر عن الخطاب الحسيني والتي يمارسها المسلمون الشيعة في البحرين بمناسبة إحياء ذكرى عاشوراء بصور وفعاليات ربما يختص بها أبناء هذا البلد دون غيره من سائر المجتمعات التي تهتم بإحياء هذه المناسبة بما تستحق معه ان تكون تجربة رائدة ملهمة لثرائها وتنوع أنماطها، وقد وقفت على ذلك شخصيا عند دعوتي لإلقاء المحاضرات فيها لشهري محرم الحرام، ورمضان المبارك لمدة امتدت ما بين (٢٠٠٣م-٢٠١٠م)[٨٣] فكنت أقف سنويا على تجارب جديدة مثمرة تطرح خطابا حسينيا، حضاريا، معاصرا، منتجا، بلغة حديثة، وتعبيرات مختلفة، خارج إطار المألوف، لا تقف عند حدّ في تطورها، وإبداعها. نتطلّع ان تُقرأ هذه التجربة بعناية لتعمم في أماكن أخرى لما لها من جدوى وتأثير كبيرين، ودور حضاري هام يتجاوز حدود الصيغ التقليدية كإلقاء المحاضرات إلى خدمات أخرى تقدم لأفراد المجتمع.

سأشير إلى بعض تلك النماذج التي عايشتها، والتي أحسب أن الشيعة في البحرين انفردوا في كثير منها:

١ - المأتم - كما يطلق عليه ويقصد به الحسينية، أو مكان انعقاد المجلس- إنما هو مؤسسة لا ينفرد غالبا شخص واحد بادارتها بل

٨٣- انظر الملحق رقم (٥)

تتولى ذلك مجموعة لجان كاللجنة الثقافية، ومهمتها إعداد البرامج الثقافية، واللجنة الاجتماعيـة تختص بالتواصل مع الناس، وعمل الاستبيانات، وتفقد المعوزين، والمرضى، واصحاب الحاجات من أهالي المنطقة، واللجنة المالية تعنى بالجانب المالي، وهكذا.

٢- تقـوم اللجنـة الثقافيـة في المأتـم بتزويـد الخطيـب الـذي يدعى للخطابة في ذلك المأتم سـلفا بلائحـة لأولويات المنطقة، واهتمامات أبنائها، والمشـكلات التي تواجهها، والظواهر السـلبية التي تستلزم منه اهتماما اكبر. ثم يقوم هو بدوره بإرسـال قائمة الموضاعات التي ينوي طرحها ليتم الإعلان عنها حسـب الليالي[٨٤]، وعندها سيحضر المسـتمع لاسـتماع الخطبـة وهو مُهيأ نفسـيا، وفي ذهنـه تصور إجمالي عن الموضوع الذي سـيطرح، وفي ختام البرنامج يتم تزويد الخطيب بشهادة تقديرية تثمينا لجهوده، وتشجيعا له على البذل والعطاء.[٨٥]

٣- يحـرص القائمـون عـلى إدارة المجلـس أن يشركـوا الجميع في تحمل المسـؤولية ذلك من خلال عمل استبيان يشارك به الجمهور بمختلف شرائحه ليبدي رأيه في اغلب المسـائل التي تتعلق بإقامة المجلـس ابتداءً من اختيار الخطيب الى تقييم مسـتواه إلى غير ذلك مـن الأمـور الفنية، تركت هذه المشـاركة بصماتهـا جلية على تطور المجلس الحسيني.[٨٦]

٨٤- انظر الملحق رقم (٦)

٨٥- انظر الملحق رقم (٧، ٨)

٨٦- انظر الملحق رقم (١، ٢، ٣، ٤)

٤- تلتزم المآتم، والمواكب في كل ليلة من ليالي عشرة محرم بتخصيصها لشريحة من شرائح المجتمع. تطبع المنشورات الخاصة بها، كأن تكون ليلة الأصحاب للصداقة مثلا، وليلة عبد الله الرضيع تخصص للطفل، والقاسم للشباب، وليلة العاشر للمرأة، وهكذا، ثم يتم نشر بوسترات، نشرات، مجلات تناسب تلك الليلة، مطبوعة طباعة أنيقة، تحفز على القراءة، تتضمن قصصا، وحكما، ومفاهيم تربوية من وحي عاشوراء، وملحمة الطف الخالدة[٨٧].

٥- حرصا من القائمين على إحياء الشعائر الحسينية في هذا البلد الكريم على عدم استثناء أي شريحة اجتماعية من ان يصلها الخطاب الحسيني الهادف، إهتموا بإقامة مجالس خاصة للصم والبكم أعدوا لها إعدادا جيدا، يؤديها خبراء بلغة الإشارة.

٦- التجربة البحرينية في إحياء عاشوراء تجاوزت الأطر التقليدية سعيا إلى إيصال صوت الحسين (ع) إلى الجميع دون تمييز، فهي منفتحة على الآخر المختلف، كانفتاح صاحب الذكرى الإمام أبي عبد الله الحسين (ع) على الموالي له وغير الموالي، والمسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي، والابيض والاسود، فقد استلهم أصحاب التجربة هذا الدرس فعقدوا مجلسا تقوم فكرته على دعوة خاصة توزع على الأجانب المتواجدين في البحرين، كالبعثات الدبلوماسية، والشركات التجارية الاجنبية، وغيرها، مع

٨٧- انظر الملحق رقم (٩، ١٠)

التكفل بجلبهم من مقراتهم، ومراكز عملهم، ومن ثم إرجاعهم بطريقة لائقة، بعد أن يكونوا قد استمعوا إلى متحدث يجيد اللغة الانكليزية بلباقة، على أن لا يتجاوز حديثه عشرين دقيقة فيها يعرّف الحاضرين بنهضة الإمام الحسين (ع)، ومأساة عاشوراء، وأهدافها وابعادها، وبشهر رمضان وفضله، ومكانته عند المسلمين، إن كانت المناسبة شهر رمضان. ثم يتفرج الحاضرون على فلم وثائقي مختصر أعد خصيصا للتعريف بالمناسبة.[88]

٧- الموكب الحسيني باعتباره رافدا هاما من روافد الخطاب الحسيني إلى جنب المنبر، وتعبير شديد الفاعلية في تشييد الثقافة الحسينية، يكتسي في البحرين حلته المميزة. فهو متمرد على أنساقه النمطية، مناهض لسياقاته التقليدية، لا أحسبني مبالغا إن ادعيت أني لم أعلم أداءً للموكب الحسيني في مكان آخر يضارعه. فهو لم يقتصر على الصيغة المتعارفة للمواكب الحسينية، بل ان هناك هيئة تتكون من عدة أعضاء رُشحوا من قبل جميع المواكب تقوم بدورها بتشكيل هيئات متعددة، منها هيئة مهمتها تنظيم اوقات خروج المواكب كي تمنع حالة الفوضى والإرباكات التي تقع عادة، وهيئة صحية من شأنها الإهتمام بالحالات الصحية الطارئة التي قد تحدث اثناء مسيرة المواكب، ومنها أيضا هيئة النظافة تتشكل من مجموعة من الأشخاص، يسايرون الموكب ليلتقطوا كل ما يخلفه مروره من نفايات، وهيئة أمنية لحفظ الأمن والنظام، وهكذا.

٨٨- انظر الملحق رقم (١١، ١٢، ١٣)

حتى أن الشخص المار من هناك صباحا يصعب أن يتصور إن المنطقة بعينها كانت مسرحا للمواكب طوال الليل. لم يقتصر الأمر على ذلك بل أن النصائح والإرشادات حاضرة من خلال مسيرة الموكب فبعد كل مقطع زمني قصير يطلق المنشد (الرادود) ومضة أخلاقية، أو لافتة تربوية تذكيرية، أو إلماعة تثقيفية بقراءة حديث للنبي (ص)، أو لإمام من أئمة أهل البيت (ع). ناهيك عن توزيع المنشورات التي تصب في ذات الهدف.

٨- أصبح ضروريا في عصرنا الحالي عدم الإنغلاق على أسلوب واحد تقليدي للتعبير عن النهضة الحسينية بل ينبغي ابتكار أساليب أخرى ربما تكون اكثر جدوى وأشد تأثيرا. إنه من غير المنطقي أن تبقى لغتنا واحدة لن تتغير للتعبير عن قضايانا العادلة والهادفة وعلى رأسها القضية الحسينية، فإن عجلة الحياة تدور ولن تتوقف لأجل أحد فما لم نسرع اللحاق بها ستغادرنا، وقد التفت الاخوة في البحرين لذلك فكان للفن بمختلف تعبيراته، تمثيلا، تصويرا، رسما، وغيرها حضوره اللافت في فضاء الشعائر الحسينية، إذ يتجلى كمفردة من مفردات الخطاب الحسيني.

ففي مجال المسرح تجاوزوا الاسلوب البدائي السائد في أغلب أماكن إحياء ذكرى عاشوراء والذي يعرف بـ(الشبيه)، إلى تأليف المسرحيات المتقنة فنيا، والتي يتم إخراجها وتمثيلها وفق المحددات الفنية الراقية فهي لا تقل جودة في الإخراج والأداء عن أي مسرحية

أخـرى[٨٩]. وإذا مـا تحدثنا عن الرسـم فإنما نتحدث عـن مهرجان فني يمتـاز بروعـة التنظيـم والإتقان، برعاية مؤسسـة تعرف بـ(مؤسسـة المرسـم الحسـيني)[٩٠]، يقـوم عليها مجموعة مـن الرسـامين، تحجز لها مكانا مناسـبا وتدعو الرسـامين من مختلف الطبقات أطفالا، شـبانا، كبارا، من كلا الجنسـين[٩١] ليرسـم كل شـخص لوحة فنيـة مما تجود به مخيلته من وحي المناسـبة، وربـما عرضت اللوحات في معرض خاص للبيع. هذا فضلا عن مهرجان مشابه للخط العربي[٩٢]، وآخر للتصوير الفوتوغرافي.

٩- تتبنـى غالبيـة المآتم والمواكـب إقامة دورات توعيـة، مهارية، ثقافية، فنية، علمية، إلى غير ذلك من المجالات.[٩٣]

١٠- تتعهـد بعـض الهيئـات الشـبابية بتصميم برامـج كمبيوترية خاصة للشباب لزيادة وعيهم، وتحصينهم من المخاطر التي تتهدد حياتهـم الروحيـة، وقيمهـم الأخلاقيـة، وكذلـك لحفـظ الأسرة وصيانتها من الإنحرافات.

ناهيك عن المشاريع الخيرية التي تتبناها المجاميع الشبابية من قبيل دعم مرضى السرطان مثلا، أو الصناديق الخيرية، وغيرها.

٨٩- انظر الملحق رقم (١٤)

٩٠- انظر الملحق رقم (١٥)

٩١- انظر الملحق رقم (١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣)

٩٢- انظر الملحق رقم (٢٣، ٢٤)

٩٣- انظر الملحق رقم (٢٥)

١١- عادة يتكفل (المأتم) المركزي في كل منطقة مشروع الصندوق الخـيري. وهو مؤسسـة فعّالـة، يحكمهـا نظام داخلي، مسـجلة في الدولـة، وتحصل على دعمها، يقوم على إدارتهـا مجموعة من أفراد المنطقـة المعروفـين بالكفـاءة والنزاهـة، مهمتها جمـع الأموال من التبرعـات والوجـوه الشرعيـة، وإنفاقها على المسـتحقين من أبناء المنطقـة، إما على شـكل مسـاعدات للمحتاجين، أو قـروض، أو هبـات تحفيزية، وجوائز، أو مشـاريع الزواج الجماعـي[٩٤]، الى غير ذلـك مـن الموارد التي تسـاهم في رفع منسـوب التنميـة، وتسريع وتيرتها في المجتمع.

٩٤- انظر الملحق رقم (٢٥، ٢٦)

الخطاب الفردي، والاجتماعي

بقي أن نشير إلى ان خطاب المنبر الحسيني ينبغي ان يحكمه مساران متوازيان، ولا يقتصر على أحدهما:

أولاهما: المسار الفردي.

يهدف هذا النوع من الخطاب إلى بلورة هوية الانسان المسلم، ومحاولة بناء حياته الروحية والأخلاقية عبر رسم المسار الصحيح للعلاقة مع الله سبحانه القائمة على أساس تكريس ثقافة الحب، وإيقاظ دوافع الخير في نفسه، ومعالجة مشاكله الاجتماعية، والعقدية، والاجابة على أسئلته المعرفية، كما يتبنى عرض مفاهيم الدين

بطريقة سلسة، واسلوب محبب للنفس. كل ذلك استخلاصا من الكتاب وسنة النبي وأهل بيته الكرام (ع) الصحيحة. اضافة إلى التماس العبر من أحداث التاريخ، ومحاولة تصحيح المفاهيم الخاطئة والعادات السيئة.

ثانيهما: المسار الاجتماعي.

من غير المجدي كثيرا ان يمكث الخطاب الحسيني حبيساً في إطار الذات، أو أن يصبح تجريديا صرفا يصبّ جلّ اهتمامه على البعد المفاهيمي النظري على نحو يذكرنا «بمقولة معروفة لإبراهام لنكولن، رئيس أميركا الشهير إبان الحرب الأهلية الأميركية، قالها بعد خروجه من إحدى كنائس العاصمة واشنطن إثر استماعه إلى محاضرة هناك،

فقد سأله مرافق له: حضرة الرئيس ما رأيك بخطبة القس غورلي لهذه الليلة؟

حسناً، أجاب لينكولن: لقد قالها بفصاحة وأداها ببراعة واستند فيها إلى الإنجيل.

ـ إذن كانت خطبة عظيمة؟

لا، أجاب لينكولن: لقد كانت خطبة فاشلة، فشلت لأن القس غورلي لم يطلب منا أن نقوم بعمل عظيم ما.

ويقصد لينكولن هنا أنه مهما علا مستوى الفصاحة في الخطبة واستندت إلى النصوص المقدسة، أو برع الخطيب في أدائها، فما لم تتدخل تلك الخطبة في واقع الإنسان وحياته، وتحمل دعوة واضحة إلى عمل إيجابي، أو تغيير عظيم ما، فإن هذه الخطبة تعتبر فاشلة، بل حتى غير مؤهلة لتحفيز الناس على الاهتمام بالدين»[٩٥].

الناس بحاجة إلى الخطاب المؤنسن الذي من شأنه أن يعزز لهم ثقتهم بأنفسهم وقدراتهم، ويبث فيهم روح الأمل والتفاؤل، ويحثهم بقوة على اتخاذ خطوات عملية تجعل حياتهم افضل، من خلال التركيز على مصفوفة من الموضوعات اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- التشجيع على ثقافة القراءة. روي عن الإمام الباقر (ع) قوله:

٩٥- مقال للكاتب باقر بري منشور في موقع al-akhbar.com.

لو أتيت بشـاب من شـباب الشـيعة لا يتفقه [في الدين] لأدبته[٩٦].
ودفـع الأهل إلى أن يحفـزوا أبنائهم عليها منـذ الصغر كي تتحول إلى إحدى المقومات الأساسـية في شـخصياتهم، وتصبح جزءا من ثقافتهم في المستقبل.

٢- الكـف قـدر الامـكان عـن الخـوض في الشـؤون السياسـية التفصيليـة، وعـدم الانحياز إلى رأي سـياسي معين، وحث الناس عـلى تبنيـه. كي لا يضطـر الخطيب أن يـذم من امتدحـه بالأمس، وينتقـص ممـن دعـى إلى تأييـده. كـما يصنع بعـض الخطبـاء حين يتحمس إلى شـخص أو كيان سياسي فيكيل له المديح بالمجان، ثم لا يلبث أن يذمه وينتقص منه، وقد استمعت شخصيا إلى أحدهم وهو يثني على أحد السياسيين في فترة الانتخابات داعيا الناس إلى انتخابه، ثم سـمعته بعد فترة وجيزة يسهب في ذمه واتهامه بأوسخ التهم. نعم يجدر بالخطيب نقد تقصير الحكومة في تقديم الخدمات للمواطـن، والمطالبـة بحقوق الضعفـاء والمحرومـين، وأن يكون صوتا للفقراء والمظلومين، ومطالبا بحقوقهم.

٣- تكريـس ثقافة التنمية والبناء عبر التحذير الدائم من مشـاكل البطالـة وتداعياتهـا الخطـيرة، ونبـذ ثقافـة الاتـكال والتكاسـل والفراغ، والتنبيه الدائم إلى ان الفقر ليس قدرا إلهياً، على الانسـان قبولـه والتكيـف معـه، وإنه نتـاج الارض وليس نتاج السـماء فلا

٩٦- الري شهري. محمدي. ميزان الحكمة: ج٢ ص١٤٠١ عن محاسن البرقي. ج١ ص٣٥٧ ح٧٦٠.

ينبغي الاستسلام له بل لا بد من مكافحته، وإقصائه من خلال حث الشباب على المبادرة لتأسيس مشاريع اقتصادية ولو صغيرة، وتطوير كفائاتهم كي يساهموا بشكل فعال في بناء اقتصاد بلدانهم. للأسف إن بعض الأخوة الخطباء لا يدركون عمق الآثار السلبية التي يخلفها خطابهم السلبي الداعي إلى التواكل والتكاسل، والقاتل لروح السعي والمبادرة كالدعوة إلى الإلتجاء للغيب بتكرار بعض الأوراد وترديد بعض الأذكار لطلب الرزق، بدل الحث على الجد والعمل، ومن ثم التوكل على الله ودعائه كما هو مقتضى ثقافة الإسلام. أود الإشارة هنا إلى خطورة الرسالة التي يوصلها هذا النوع من الخطاب إلى الجمهور والتي ربما لم تكن مقصودة للخطيب بالذات، ولذا سعى النبي، وآل بيته الكرام (ع) إلى تحصين المجتمع من هذه الثقافة السلبية. جاء عن رسول الله (ص): «إِنَّ أَصْنَافاً مِنْ أُمَّتِي لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ دُعَاؤُهُمْ: .. وَ رَجُلٌ يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ وَ يَقُولُ رَبِّ ارْزُقْنِي وَ لَا يَخْرُجُ وَ لَا يَطْلُبُ الرِّزْقَ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ: عَبْدِي، أَ لَمْ أَجْعَلْ لَكَ السَّبِيلَ إِلَى الطَّلَبِ وَ الضَّرْبِ فِي الْأَرْضِ بِجَوَارِحَ صَحِيحَةٍ؟ فَتَكُونَ قَدْ أُعْذِرْتَ فِيمَا بَيْنِي وَ بَيْنَكَ فِي الطَّلَبِ لِاتِّبَاعِ أَمْرِي، وَ لِكَيْلَا تَكُونَ كَلًّا عَلَى أَهْلِكَ، فَإِنْ شِئْتُ رَزَقْتُكَ، وَ إِنْ شِئْتُ قَتَّرْتُ عَلَيْكَ، وَ أَنْتَ غَيْرُ مَعْذُورٍ عِنْدِي.. الخ»[٩٧].

٤- الدعوة الى الإنفتاح على الآخر المختلف، وبناء علاقات

٩٧- الكُليني. الكافي : ٥ / ٦٧ .

إيجابية معه، وتشـييد ثقافة التسامح. والتحذير من آفات التطرف، استـضاءة بالكتاب واقتداء بالسـنة. وقد مرت آنفـا حادثة الإمام الصـادق (ع) مع الشـخص النبطي الذي كان يحضر مجلسـه[98]. ما يـدل على أن الإمـام (ع) كان منفتحا على الجميـع، ولذا لم يمنعهم مانـع مـن حضور مجلسـه الـذي كانـوا لا يشـعرون فيه باسـتهانة تطالهم، أو تمييز يتعرضون إليه.

٥- التركيـز عـلى ثقافة التكافـل والتضامن الاجتماعـي، ومعالجة انتشـار الظواهر الإجتماعية السـلبية كظاهـرة الأيتام. والحث على فكرة تأسيس الصندوق الخيري، والاستفادة من التجارب الرائدة في هذا المجال. كما ينبغي دعوة المواطنين إلى تأسيس منظمات مدنية في الشؤون المختلفة لغرض تقديم الخدمات لأفراد المجتمع، وسد الفراغ الحاصل.

٦ـ ترويج ثقافة ترشـيد الإستهلاك وحسن استخدام النعم وعدم الإسراف، كـما كان يصنـع رسـول الله والأئمـة (ع) فـإن ذلك مما ينهض بالمسـتوى المعاشي لأبناء المجتمع لا ما تتداوله بعض المنابر مـن إلجـاء الجماهـير إلى الأسـاليب التخديريـة. عـرف عن بعض الأخـوة الخطبـاء أن معه وصفـة جاهزة لكل مشـكلة إجتماعية أو فردية، يرددها على المنبر بإستمرار، يسعى لإقناع الناس بها، مفادها إنك لا تحتاج إلى كثير عناء أو تعب كيما تغير حالك نحو الأفضل، وتطور من معيشتك، وما عليك سوى ترديد بعض الكلمات! أين

٩٨- مر ذلك في ص ؟؟؟

ذلك من رسـالة الإسلام؟. يقول رسول الله (ص) وهو يعدد من لا يسـتجيب الله دعائهـم: «.. وَ رَجُلٌ رَزَقَهُ اللهُ مَـالًا كَثِيراً فَأَنْفَقَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَدْعُو يَا رَبِّ ارْزُقْنِي، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ أَ لَمْ أَرْزُقْكَ رِزْقاً وَاسِـعاً، فَهَلَّا اقْتَصَدْتَ فِيهِ كَمَا أَمَرْتُكَ وَ لِمَ تُسْرِفُ وَ قَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ الْإِسْرَافِ..الخ».[99]

99- الكُليني. مصدر سابق: ٥ / ٦٧.

قواعد فن الإلقاء الفعّال

تتمـة لما ذكرناه، ولغرض النهوض بأداء الخطاب الحسـيني ارتأينا ذكر جملة من أهم الأسس المهارية لفن الالقاء الناجح:

١- يجب الإلمام بموضوع المحاضرة بشكل كامل، وإعداده إعدادا كافيـاً، وتحضيراً وافياً، وكتابة خطته. فـإن لم يكن الخطيب متمكناً من الموضوع الذي ينـوي الحديث فيه فلا يتكلم وليحترم جمهوره ومسـتمعيه. ولا يدخـل في مسـائل وتفاصيـل لايمتلـك تصـورا واضحـا عنها، او امور ليسـت من اختصاصـه كالطب وغيره إلا إجمالا على سبيل الإشارة لا غير.

٢- يحسن عند بدء الخطبة رسم خارطة البحث، وعرضها بإيجاز، والإعـراب عما هـو بصـدد قولـه لمسـتمعيه. (خارطـة المحاضرة البوصلة للوصول إلى تحقيق أهدافها).

٣ - الاقتصـار عـلى موضـوع واحد مـا أمكن وعرضه بتسلسـل مناسـب، وعدم التشـعب فإنه يشـتت ذهـن المسـتمع. إن ترتيب الأفكار وتسلسلها أمر ضروري هام، كما لا بأس بتنقيط الموضوع الى اربع او خمس نقاط لتسهل عملية استحضاره.

٤- الهدف الواضح والجلي من المحاضرة، أضف إلى صدق المتحدث، وثقته بنفسـه كل تلك مفردات تعزز ثقة المسـتمع بـما يقوله الخطيب، وبالتالي يعزز وصول الرسالة، ويحسّن ويزيد ثقة الجمهور بالمتحدث.

٥- المهـارة اللغويـة والتلاعـب بالكلـمات. لا بـد مـن أن يكـون

للخطيب مخزون لغوي، ثقافي، ومعرفة، وسعة اطلاع، ولا يتاتى ذلك الا من غزارة المطالعات وتنوعها فإن ذلك يحقق له ثقافة يحتاجها في عمله كمحاضر.

٦- تجنب التقليد. أن يكون الحديث بالطريقة والاسلوب الذي تعود أن يتحدث به الخطيب دوما ، فهو ليس مضطرا كيما يكون خطيبا مفوها أن يتبنى أنماط الآخرين في الحديث.

٧- لا يفرغ الخطيب عباراته من مضمونها بكثرة التكرار، أو يعيد صياغتها بشكل مبتذل دون أيّ داع. بل يطرح فكرته مرة واحدة بإيجاز ومباشرة.

٨- ليحرص على أن ينهي خطبته فى الوقت المخصص لها ، بل والأفضل أن ينهيها قبل الموعد الذى يتوقعه الجمهور بقليل فمن الأفضل أن يترك جمهوره وهو تواق للمزيد ، بدلا من أن يجعله يتمنى لو كان اختصر فى حديثه.

٩- الاهتمام بإشراك الجمهور معه منذ البداية إذا كان ذلك ممكنا عبر إلقاء الأسئلة عليهم وطلب الإجابة منهم مثلا.

١٠- الإستماع الجيد. يجب أن يكون المتحدّث مستمعاً جيداً، يتقبل مداخلات الأخرين، ويحترمها، وأن يبتعد عن التزمّت برأيه.

١١- كثرة الحركة غير محمودة أثناء الإلقاء كي لا يتشتت ذهن المستمع ، إلا انه أحيانا قد يحتاج الخطيب إلي إيماءات مدروسة، وحركات باليدين غير مبالغ فيها في بعض المواقف، إذا احتاج إلى وصف موقف معين.

الخاتمة

لا يمكـن لطرف واحـد ان يدعي القدرة على معالجة كل الازمات والمشـاكل التـي يعـاني منها الخطـاب الدينـي عموما، والحسـيني منه بصـورة خاصـة، وضعـف أثـره في مجتمعاتنـا، لا سـيما أنهـا مشـاكل متداخلـة ومتشـابكة ومعقدة في ذات الوقت. لكـن لا يمنع ذلك من إجمال أهم سبل العلاج بما يلي:

أولا: الدولـة بمؤسسـاتها التشريعيـة، والتنفيذيـة، والقضائيـة مسؤولة عن:

ألـف: وضع مناهج تربوية لطـلاب المراحل الأولى تنمي فيهم قيم الخير والصلاح، والأخلاق.

بـاء: تشريـع القوانين التي تجـرّم الخطـاب الطائفي، وخطاب الكراهية كما هو معمول به في كثير من الدول الاقليمية وغيرها.

ثانيـاً: المرجعية الدينية الكريمة، نقترح من منطلق أبوَّتها وحرصها على الشأن الديني العام:

ألـف: إفاضاتها مشـكورة على هذا الخطـاب، بزيادة الاشراف عليـه، وتكثيـف متابعتـه، وقـد شـهدنا مؤخـرا بعـض هـذه الخطوات في هذا السـبيل. كما في البيان الذي مر ذكره، نأمل ان تزيد وتيرة تلك الخطوات بما تراه مناسـبا لما فيه مصلحة البلاد والعباد.

بـاء: تبنـي أو مباركـة إنشـاء معهـد لإعـداد وتكويـن خطباء مؤهلين فكريا وثقافيا لحمل رسـالة المنبر الحسيني، والنهوض بهذه المسـؤولية على أكمل وجه على ان يعتمد تدريب الخطيب على طرائق حديثة في الخطابة تقوم على أسس علمية رصينة.

ثالثاً: الجماهير بصورة عامة والنخبة منهم خاصة يتحملون قسـطا غـير قليل من المسـؤولية وذلـك بالوقوف بوجه اي خطـاب تجهيلي، خـرافي، يبـث الكراهيـة والفرقة بين ابنـاء المجتمع، ويعصـف بأمنه، ويقوّض استقراره، ويفتك بتعايشه السلمي.

أخـيرا لا بدّ للمسـلمين أن يدركـوا أن عجلة التاريخ مسـتمرة في الـدوران ولـن تتوقـف مـن أجلهـم، ورياحه لاتسـتثني أحـدا. ما لم يواكبـوا ركب الحضارة فسـتطحنهم عجلته وتذروهـم رياحه ليؤول مصيرهـم كأمم ومجتمعات لم يبق منها سـوى مـا يعرض في المتاحف. وأمامنا الهنود الحمر خير مثال. خصوصا وأن المسـلمين من ألف سنة أو يزيد لم يسـجل لهم مسـاهمة فاعلة في بناء صرح الحضارة الانسانية مقارنـة باليهـود الذيـن لم يتجاوز عددهـم ١٦ مليون يهوديـا في العالم حصـدوا ٢٠٪ مـن جوائز نوبل للعلوم مقابل المسـلمين الذين تجاوز عددهم مليار وستمائة مليون نسمة ولم يكن لهم حضور يذكر فيها.

قائمة المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- الشريف الرضي. نهج البلاغة. تحقيق صبحي الصالح.

٣- ابـن بابويـه، محمد بن علي، معـاني الأخبار. تحقيق: علي اكبر غفاري، قم: مؤسسـة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين في حوزة قم.

٤- عبد الجبار الرفاعي د.، الدين والظمأ الأنطولوجي.

٥- المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. طهران: دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٦- الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا.

٧- الشيخ الصدوق. أمالي الصدوق.

٨- الشيخ الصدوق. ابن بابويه، محمد بن علي. التوحيد.

٩- المعتزلي. شرح نهج البلاغة.

١٠- جزاء الاعمال.

١١- مجلة صوت الحسين الالكترونية، العدد السابع.

١٢- غرر الحكم ودرر الكلم.

١٣- مسودة لانشاء مركز متخصص للدراسات الاخلاقية والنفسية.

١٤- الشيخ الكليني. الكافي.

١٥- صحيفـة صـدى المهدي الالكترونيـة. يصدرها مركز الدراسـات التخصصية في الامام المهدي العدد: ٣٩/ شعبان/ ١٤٣٣هـ المصادف ٢٠١٢/ ١٢/ ١٦.

١٦- أبو جعفر الطبري. بشارة المصطفى.

١٧- أحمد بن حنبل. المسند.

١٨- الشيخ الطوسي. الأمالي.

١٩- العلامة الطبرسي. الاحتجاج.

٢٠- عبد الرزاق المقرم. زين العابدين.

٢١- البخاري. صحيح البخاري.

٢٢- سبط ابن الجوزي. تذكرة الخواص.

٢٣- محمدي الري شهري. ميزان الحكمة.
٢٤- الشيخ حمزة الخويلدي. الخطباء الشهداء.
٢٥- السيد داخل السيد حسن. معجم الخطباء.
٢٦- المجلسي، بحار الأنوار.
٢٧- صاحب الحكيم. وموسوعة عن قتل واضطهاد مراجع الدين وطلاب الحوزة الدينية في بلد المقابر الجماعية.
٢٨- محمد بن جواد الخرس. د. تاريخ تطور الاغراض الخطابية في المنبر الحسيني عبر ادواره الثلاثة.
٢٩- مضر الحلو. أعلام الكوفة.
٣٠- الشيخ محمد صادق الكرباسي. دائرة المعارف الحسينية. معجم الشعراء الناظمين في الحسين.
٣١- الزركلي، الأعلام.
٣٢- السيد محسن الأمين. أعيان الشيعة.
٣٣- ابن قولويه القمي. كامل الزيارات.
٣٤- الشيخ الصدوق. ثواب الاعمال.
٣٥- السيد الخوئي. معجم رجال الحديث.
٣٦- الشيخ محمد صادق الكرباسي. دائرة المعارف الحسينية معجم خطباء المنبر الحسيني.
٣٧- الشيخ المفيد. الأمالي.
٣٨- المحسن بن علي التنوخي المصري. نشوار المحاضرة.
٣٩- الشيخ محمد مهدي شمس الدين. ثورة الحسين في الوجدان الشعبي.
٤٠- إبراهيم الحيدري. تراجيديا كربلاء.
٤١- السيد صالح الشهرستاني. تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي.
٤٢- الشيخ جعفر محبوبة: ماضي النجف وحاضرها.
٤٣- مجلة رسالة الحسين.
٤٤- جعفر الخليلي. هكذا عرفتهم.
٤٥- محمد هادي الأميني. معجم رجال الفكر والأدب في النجف.
٤٦- الشيخ أحمد الوائلي. تجاربي مع المنبر.
٤٧- صحيح مسلم.

ملحق الصور

مأتم السنابس
اللجنة الاجتماعية / لجنة العلاقات العامة

نتائج استبيان خطابة شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧هج – الموافق لعام ٢٠٠٦م – ممثلة بالأرقام

الرقم	الخطيب	المستوى		
		ممتاز	جيد	مقبول
١	المواضيع المطروحة	١٠٦	٦٥	١٠
٢	مستوى الطرح	٩٦	٧١	١٢
٣	القراءة الحسينية	٥٧	٧٣	٤٨
٤	وقت بدء القراءة	مبكر	مناسب	متاخر
		٣	١٥٠	٢٧
٥	مدة الخطابة	طويلة	مناسبة	قصيرة
		٥١	١٢٦	١
٦	هل ترغب في بقاء الخطيب للعام القادم ؟	(نعم) ١٢٢	(لا) ٤٥	
٧	هل ترغب في إيجاد أنشطة أخرى قبل القراءة ؟	(نعم) ١٢٢	(لا) ٥٣	

نتائج استبيان خطابة شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧هج – الموافق لعام ٢٠٠٦م – ممثلة بالنسب المئوية

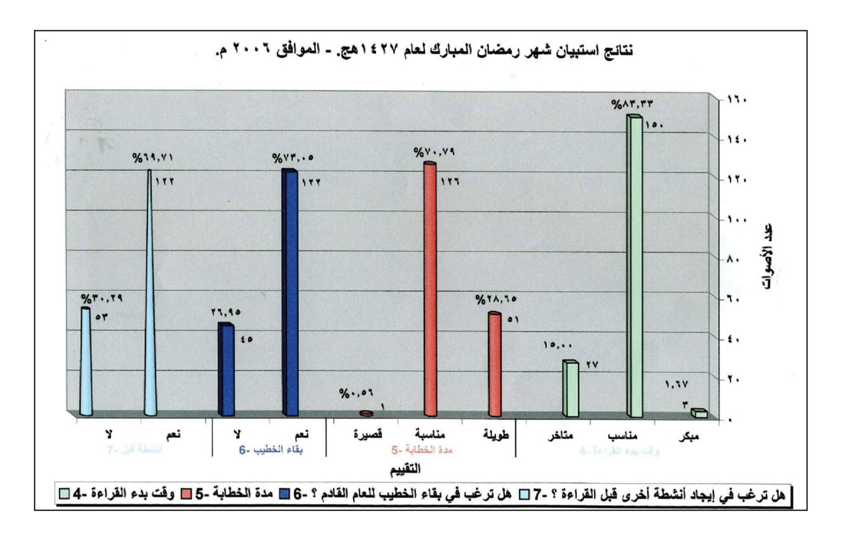
الرقم	الخطيب	المستوى		
		ممتاز	جيد	مقبول
١	المواضيع المطروحة	%٥٨,٥٦	%٣٥,٩١	%٥,٥٢
٢	مستوى الطرح	%٥٣,٦٣	%٣٩,٦٦	%٦,٧٠
٣	القراءة الحسينية	%٣٢,٠٢	%٤١,٠١	%٢٦,٩٧
٤	وقت بدء القراءة	مبكر	مناسب	متاخر
		%١,٦٧	%٨٣,٣٣	%١٥,٠٠
٥	مدة الخطابة	طويلة	مناسبة	قصيرة
		%٢٨,٦٥	%٧٠,٧٩	%٠,٥٦
٦	هل ترغب في بقاء الخطيب للعام القادم ؟	(نعم) %٧٣,٠٥	(لا) %٢٦,٩٥	
٧	هل ترغب في إيجاد أنشطة أخرى قبل القراءة ؟	(نعم) %٦٩,٧١	(لا) %٣٠,٢٩	

الفئة العمرية	١٨ - ٢٤	٢٥ - ٣٤	٣٥ - ٤٤	٤٥ - ٥٤	٥٥ - ٦٤	٦٥ - ٧٤	٧٥ - ٨٤
عدد المصوتين	٢١	٤٣	٥٨	٣٢	١٤	٨	١
نسبتهم للعدد الكلي	%١١,٦٠	%٢٣,٧٦	%٣٢,٠٤	%١٧,٦٨	%٧,٧٣	%٤,٤٢	%٠,٥٥

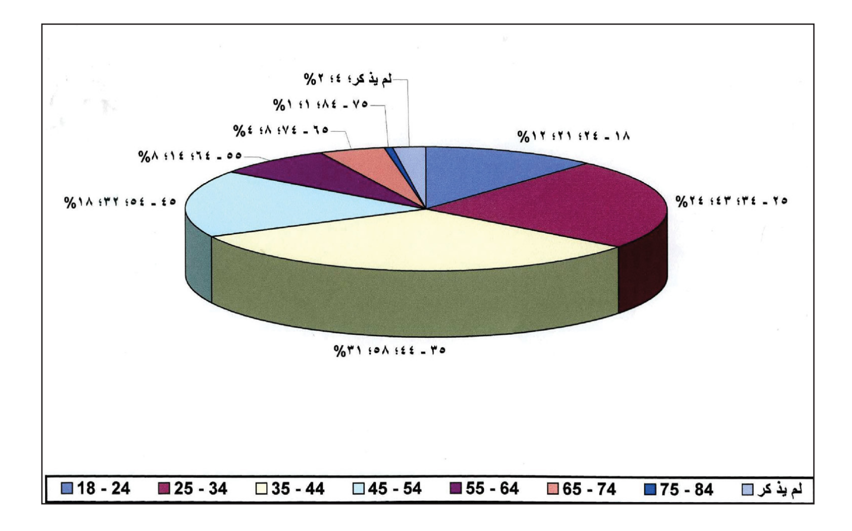
الذين لم يذكروا العمر	٤	نسبتهم	%٢,٢١
مجموع الأفراد المشاركين في الاستبيان	١٨١		%١٠٠,٠٠

(مع تحيات اللجنة الإجتماعية)

ملحق رقم (١)

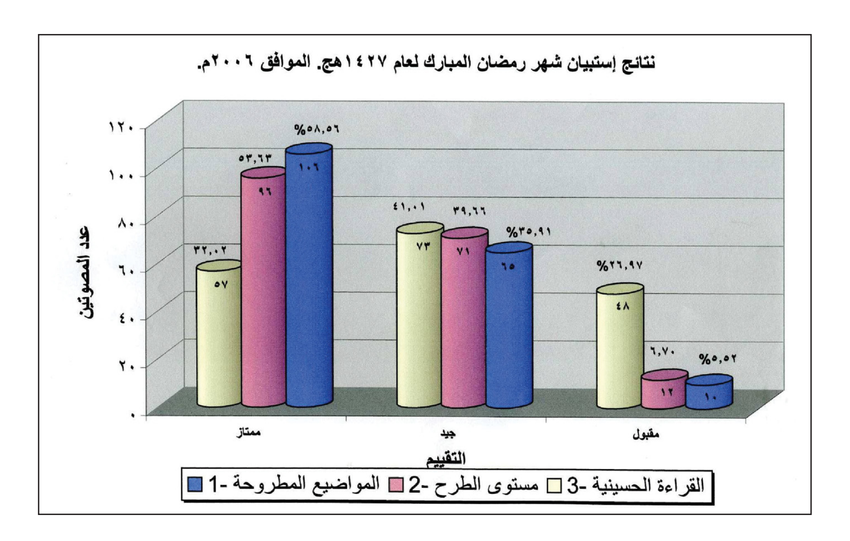

نتائج استبيان شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧هج. - الموافق ٢٠٠٦ م.
عدد الأصوات
١٦٠
١٤٠
١٢٠
١٠٠
٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠
%٣٠,٢٩
٥٣
%٦٩,٧١
١٢٢
٢٦,٩٥
٤٥
%٧٣,٠٥
١٢٢
%٠,٥٦
١
%٧٠,٧٩
١٢٦
%٢٨,٦٥
٥١
١٥,٠٠
٢٧
%٨٣,٣٣
١٥٠
١,٦٧
٣
لا
نعم
لا
نعم
قصيرة
مناسبة
طويلة
متاخر
مناسب
مبكر
بقاء الخطيب -6
مدة الخطابة -5
التقييم
هل ترغب في إيجاد أنشطة أخرى قبل القراءة ؟ -7
هل ترغب في بقاء الخطيب للعام القادم ؟ -6
مدة الخطابة -5
وقت بدء القراءة -4

ملحق رقم (٢)



لم يذكر؛ ٤؛ ٢%
٧٥ - ٨٤؛ ١؛ ١%
٦٥ - ٧٤؛ ٨؛ ٤%
٥٥ - ٦٤؛ ١٤؛ ٨%
٤٥ - ٥٤؛ ٣٢؛ ١٨%
١٨ - ٢٤؛ ٢١؛ ١٢%
٢٥ - ٣٤؛ ٤٣؛ ٢٤%
٣٥ - ٤٤؛ ٥٨؛ ٣١%
18 - 24
25 - 34
35 - 44
45 - 54
55 - 64
65 - 74
75 - 84
لم يذكر

ملحق رقم (٣)


نتائج إستبيان شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧هج. الموافق ٢٠٠٦م.
عدد المصوتين
١٢٠
١٠٠
٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠
%٥٨,٥٦
٥٣,٦٣
٣٢,٠٢
١٠٦
٩٦
٥٧
٤١,٠١
٣٩,٦٦
%٣٥,٩١
٧٣
٧١
٦٥
%٢٦,٩٧
٦,٧٠
%٥,٥٢
٤٨
١٢
١٠
ممتاز
جيد
مقبول
التقييم
1- المواضيع المطروحة
2- مستوى الطرح
3- القراءة الحسينية

ملحق رقم (٤)



ملحق رقم (٥)


مأتم السنابس
محاضرات سماحة السيد مضر الحلو
شهر رمضان المبارك من الليلة ١ إلى الليلة ٣٠
الليلة 1 . في ظلال رمضان شهر الصوم والقرآن
الليلة 2 . العُجب . مناشوه . مراحله . علاجه
الليلة 3 . السؤال ظاهرة حضارية
الليلة 4 . الخشوع لله مظهر العشق الالهي
الليلة 5 . خطورة وضع رجل الدين في غير موضعه
الليلة6 . فهل التسامح في الاسلام حقيقة ام وهم ؟
الليلة 7 . كي لاتكون من الذين يؤذون النبي (ص) . وفاة ابي طالب
الليلة 8 . الاستهلاك داء العصر المزمن
الليلة 9 . هل يجوز التوسل بالنبي واله (ع) ؟ ولماذا ؟ بحث من واقع السيرة
الليلة 10 . المراة . نحو فهم عصري للنص الديني . وفاة خديجة
الليلة 11 . هل للاعتقاد بالمعاد تاثير على النزعة السلوكية للانسان ؟
الليلة 12 . مصاديق المال الباطل
الليلة 13 . التحولات الخلقية والروحية مقدمة للتغيير الاجتماعي
الليلة 14 . ندوة حوارية
الليلة 15 . الامامة فيض الواجب على الممكن . ولادة الامام الحسن عليه السلام
الليلة 16 . الرحمة الالهية عنوان كتاب التكوين والتدوين
الليلة 17 . حرمة الدماء في الاسلام
الليلة 18 . اهل البيت (ع) مصداق اولي الامر . بحث قراني
الليلة 19 . قيمة المبدء عند امير المؤمنين (ع) . جرح الامام عليه السلام
الليلة 20 . ماالذي خسره المسلمون بفقد علي عليه السلام
الليلة21 . الامام علي (ع) والفكر الانساني المعاصر
الليلة 22 . الكوفة حاضرة اهل البيت عليهم السلام
الليلة 23 . المنهج القراني في الانتقال من الظلمات الى النور
الليلة 24 . الهوى . حقيقته . مصاديقه
الليلة 25 . الغاء الاخر مظهر للتخلف الحضاري
الليلة 26 . هل بمقدور الانسان اجتناب الظن ؟
الليلة 27 . البطر . حقيقته . مصاديقه . علاجه
الليلة 28 . الخلود طموح انساني هل يتحقق ؟
الليلة 29 . الامعة داء دواؤه الوعي
الليلة 30 . ندوة حوارية
وذلك في تمام الساعة العاشرة مساء
جميع المحاضرات منقولة بث مباشر
على موقع مأتم السنابس
www.alsanabis.org

ملحق رقم (٦)



ملحق رقم (٧)



شكر وتقدير

يتقدم رئيس وأعضاء مجلس إدارة مأتم السنابس بالشكر

والتقدير إلى الخطيبب

سماحة السيد مضر الحلو

وذلك من خلال مشاركته في الخطابة طوال شهر رمضان المبارك

والذي جسد روح الإخلاص والتفاني طوال محاضراته التي نالت

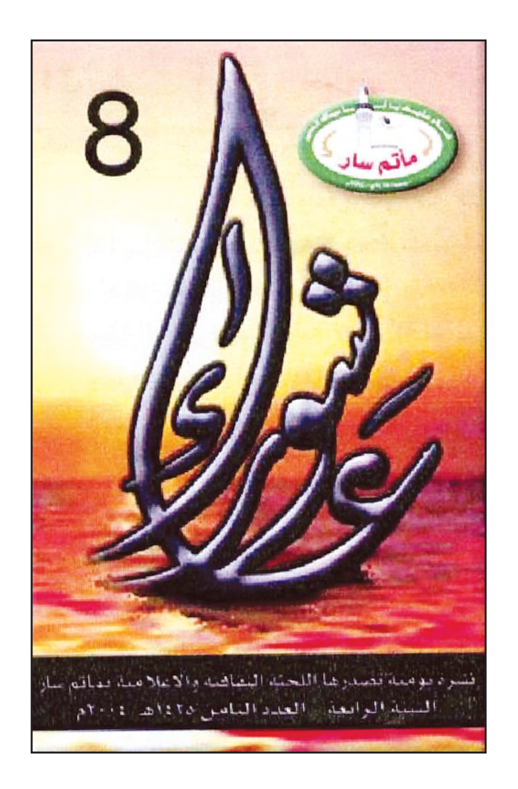
استحسان الكثير متمنين له دوام التوفيق والسداد

وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال

حرر في ٢٢/١٠/٢٠٠٦م

رئيس وأعضاء مجلس الإدارة

ملحق رقم (٨)


8
مأتم سار
عاشوراء
نشرة يومية تصدرها اللجنة الثقافية والإعلامية بمأتم سار
السنة الرابعة العدد الثامن ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

ملحق رقم (٩)

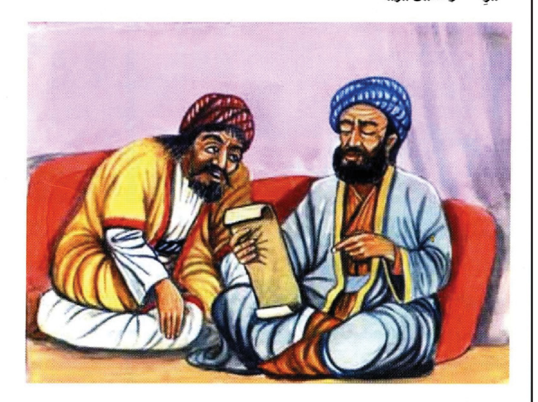
أجابه مَروانُ: أنا أعلَمُ أنّهُ لا يُجيبُكَ على بَيعةِ يَزيدَ أبداً.. ولاَ يَرى لَهُ طاعةً عليهِ.

صمت مَروانُ بُرهـةً.. ثُمَّ راحَ يُواصِلُ كَلامَهُ، وَقَدْ ارتَسمَ حِقْدَهُ وخُبْثُهُ علـى مَلامِحِ وَجْهِهِ، وقـال: لو كنتُ مَكانَكَ لَمْ أُراجِعَ الحُسـينَ بِكَلِمَةٍ واحِدةٍ حَتّى أضْرِبَ عُنُقَهُ قَبْلَ أنْ يَعلَمَ بموتِ معاوية.

عَظُمَ كَلامُ مَروانَ على قـلبِ الوَليدِ.. فَأطْرَقَ بِرَأْسِهِ إلى الأرض وَراحَ يَبْكِي بِصَمْتٍ وَهُوَ يُرَدِّدُ بِحرْقَةٍ وَألَمٍ: لَيتَ الوَليدُ لَمْ يُولَدْ.. وَلَمْ يَكُنْ شَيئاً مَذكوراً..

تَأَمَّلَ مَروانُ دُموعَ الوَليدِ وَهُوَ يَسْتَمِعُ إلى كَلامِهِ.. فَراحَ يُكَلِّمَهُ بِهُدُوءٍ:

أيُّها الأمير.. لا تَجزَعْ مِمّا ذَكَرتُ لَكَ.. إنَّ آلَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ أعداؤُنا مُنذُ القِدَمِ وَما يَزالونَ.. وإنْ لَمْ تُعالِجْ أمرَ الحُسَينِ.. فَسَوْفَ تَسقُطُ مَنْزِلَتُكَ مِنْ أميرِ المؤمِنينَ يَزيدَ..



واقعة الطف ٨

ملحق رقم (١٠)

صور من تنظيم الفوج السياحي (للأجانب)
The Hussaini tour, organized by the Hussaini Art Society (for the Expats)

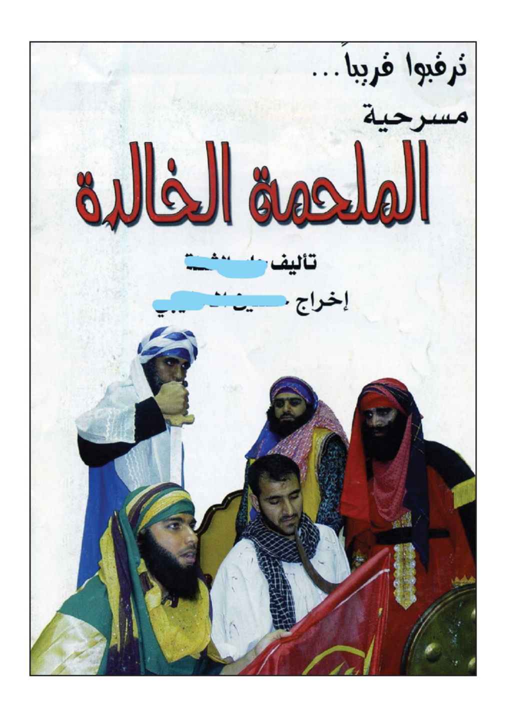
ملحق رقم (١١)



ملحق رقم (١٢)



ملحق رقم (١٣)



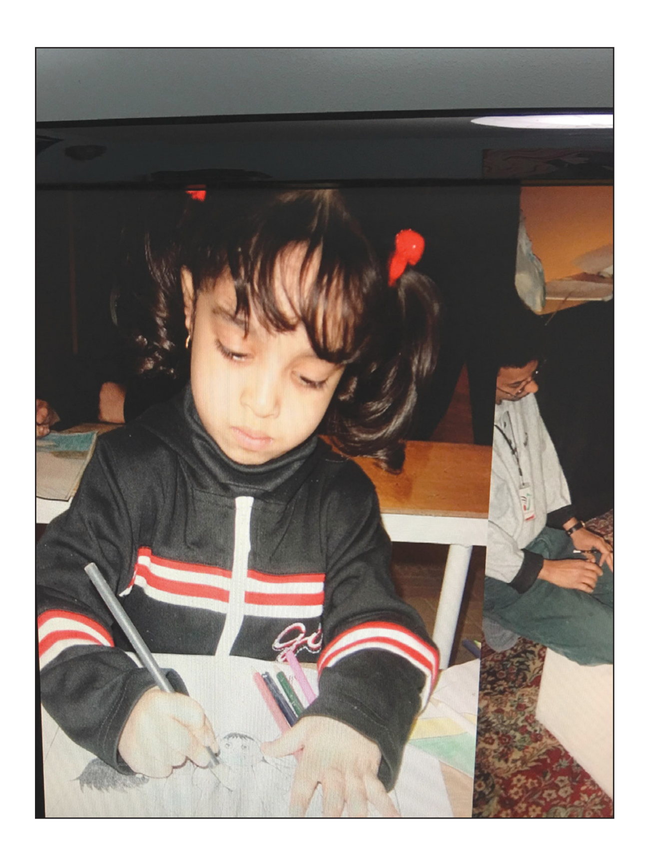
ملحق رقم (١٤)


جمعية المرسم الحسيني للفنون الإسلامية
Al Hussaini Society For Islamic Art

ملحق رقم (١٥)



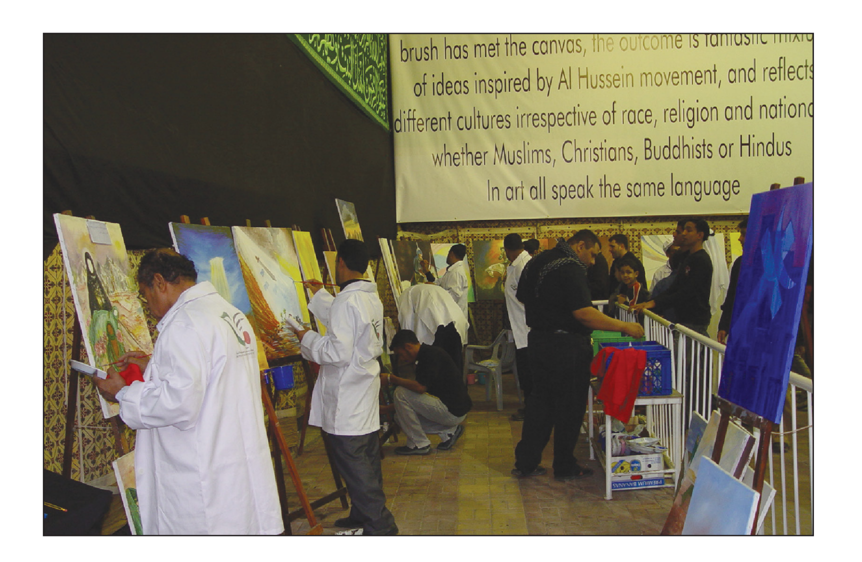
ملحق رقم (١٦)



ملحق رقم (١٧)



ملحق رقم (١٨)


brush has met the canvas, the outcome is fantastic mixtu
of ideas inspired by Al Hussein movement, and reflects
different cultures irrespective of race, religion and nationa
whether Muslims, Christians, Buddhists or Hindus
In art all speak the same language

ملحق رقم (١٩)



ملحق رقم (٢٠)



ملحق رقم (٢١)



ملحق رقم (٢٢)

الخط الحسن يزيد الحق وضوحا

دعوة للخطاطين المبدعين في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

- تدعو اللجنة المنظمة من لديهم الموهبة والإبداع الفني في مجال (الرسم - الخط - التصوير فوتوغرافي) وذلك تعبيراً عن هذا المفهوم كتجسيد إلى ملحمة كربلاء وإلى كافة الشعوب المحبة للسلام والتلاحم الفكري والديني وإلى كافة أنحاء البشرية التي تنشد السلام والوئام الديني والإنساني. فعلى من يجد في نفسه الرغبة للمشاركة في المهرجان المذكور الحضور لموقع الورشة كما هو مذكور ، مع التأكيد على ضرورة ذكر نوع العمل المشارك به.

- سوف تقام الورشة الفنية لهذا العام تحت شعار (الخط الحسن رسول الحق) وهي دعوة جديدة لكل المبدعين والهواة والمبتدئين في فن التشكيل الحَرفي وفنون الخطوط الأصولية - ديواني - ثلث - فارسي... الخ.

- المكان: المساحة المطلة على جامع المهزع في المنامة.

- الوقت: طول ليالي عاشوراء من ليلة الخامس حتى ليلة العاشر من المحرم. من الساعة ٨ إلى ١١ مساءً.

- الخامات المستعملة: سوف توفر اللجنة بعض الأدوات الأولية من ورق وفرش وألوان وبعض القصب... " إذا كانت لدى الخطاط أدواته الخاصة يمكنه استخدامها لأعماله الخاصة في الورشة واسترجاعها في ما بعد ".

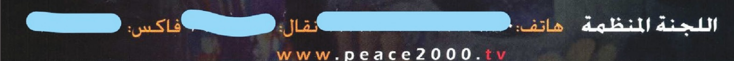
- المطلوب: تجسيد لوحات تشكيلية ممتزجة بالخطوط والحروف الدالة على مكانة الإمام الحسين عليه السلام وثورته الأبدية.

وانظر الصفحة الخاصة لبعض الأحاديث النبوية عن سيد الشهداء ويمكنكم التعبير عنها بالخطوط التي تجيدون القدرة في تشكيلها . مثال حول الخط القديم - ثلث - رقعة أو نسخ وفن الخطوط العصرية والحديثة.

- الأهداف

١- التأكيد على دور الخط والتشكيل في إبراز واستنهاض ثورة الحسين عليه السلام .
٢- تُعلق الأعمال الناجحة في الورشة بعد إتمام العمل فيها.
٣- تصوير الأعمال الناجحة وطباعتها بالأحجام المناسبة.
٤- توزيع المطبوعات على الجهات المعنية بالإعلام وكذلك المآتم الحسينية.
٥- سوف ترعى اللجنة بعض الدورات الدراسية في فن الخط العربي بالبحرين.
٦- سوف تكون هناك لجنة من خيرة الخطاطين المحليين والفنانين البارزين لتقييم الأعمال الجيدة ووضعها في الملتقيات الثقافية والفنية بالبحرين والخارج.

الدعوة عامة



اللجنة المنظمة هاتف: نقال: فاكس:

www.peace2000.tv

ملحق رقم (٢٣)



في ذكرى
عاشوراء الخالدة...
مهرجان الإمام الحسين عليه السلام الثالث (١٤٢٥هـ)
الفن رسول الحق والسلام
تحت إدارة وإعداد الفنان التشكيلي
ابتداءً من ليلة الخامس من المحرم ولغاية يوم الثاني عشر من المحرم لعام ١٤٢٥هـ
سيقام المهرجان فوق الأرض الواقعة غرب جامع المهزع في محيط ميدان المهزع
مكتب فنون اصيل

ملحق رقم (٢٤)


مركز شباب المهدي
خاص بالشباب من الثالث الثانوي والجامعيين ومن في سنهم
برنامج اللقاء الأسبوعي
ليلة الأربعاء من كل أسبوع
الساعة ٣٠ : ٨ مساءً
التنمية الثقافية لدى الشباب ٢٠٠٤/٧/٦
الإعلام والشباب ٢٠٠٤/٧/١٣
فلسفة الأخلاق الإسلامية ٢٠٠٤/٧/٢٠
الشباب والوظيفة ٢٠٠٤/٧/٢٧
هموم الطالب الجامعي ٢٠٠٤/٨/٣
التعليم الإلكتروني ٢٠٠٤/٨/١١
الشباب والعمل الاجتماعي ٢٠٠٤/٨/١٧
مشروعك الخاص بالزواج ٢٠٠٤/٨/٢٤
الدورات الدراسية
٣ أيام
الدورة الفكرية
الليالي : الأحد / الأثنين / الثلاثاء
١٧—٢٠٠٤/٧/١٩
٢ دينار
دورة فقه الجنس
الليالي : الأحد / الأثنين / الثلاثاء
١٤—٢٠٠٤/٨/١٦
دورة الفوتوشوب
الليالي : الأحد / الأثنين / الثلاثاء
٢١—٢٠٠٤/٨/٢٣
للاستفسار :
فرع مدينة حمد
برامج
مركز شباب المهدي
مركز علوم القرآن
مركز بنات الزهراء (ع)
التسجيل : في مقر الفرع
منزل طريق
مدينة حمد
من الساعة ٤:٣٠ حتى ٩:٠٠ مساء
الدراسة في المقر
ينتهي التسجيل للإكتمال العدد

ملحق رقم (٢٥)



كلمة العدد

عزيزي القارئ نقدم لك العدد الأول من مجلتنا (عطاء الديه) للربع الأول من الدورة السابعة، حيث يتضمن هذا العدد أهم الفعاليات والأنشطة والخدمات التي قدمها الصندوق خلال الفترة من ٢٠٠٤/١/١ ولغاية ٢٠٠٤/٦/٣٠ وذلك من أجل اطلاعكم على ما تم انجازه.

لنا كلمة

عن رسول اللّه (ص): ومن سعى لمريض في حاجة قضاها أو لم يقضه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فقال رجل من الأنصار: بأبي أنت وأمي يارسول اللّه فإن كان المريض من أهل بيته أفلا يكون ذلك أعظم أجراً إذا سعى في حاجة أهل بيته؟ قال (ص): نعم... إنه لشرف كبير للإنسان المؤمن أن تحصل له الفرصة لتطبيق ما يأمر به الرسول (ص) حتى لو كلّفه جهداً وذلك لعلمه بأهمية أوامره وما لها من نفع يعود على الشخص ومجتمعه، من هذا المنطلق ذكرنا هذه الرواية من حديث حبيب القلوب (ص) وهناك الكثير من روايات أهل بيت العصمة في الحث على زيارة المريض بل وتزاور المؤمنين بعضهم بعضاً وما ذلك إلا لأهمية عظيمة يعرفها كل ذي عقل واعي؛ من تألق القلوب، وتقوية الأواصر، والترابط، وحيث يحس الشخص بأهميته واحترامه من قبل مجتمعه ويتضح له سر عظمة هذا الدين وأن لله في كل صغيرة وكبيرة من حياة الإنسان بل وغيره من الكائنات حكماً واضحاً من حيث الإيجاب والسلب.

فما بالك لو كان هذا المريض من كبار السن والمحتاج إلى زيارة ورعاية، فستكون الزيارة هدفها أسمى وأكبر حين يكون دافعها رضا اللّه تعالى. لذلك يحث الصندوق في القرية على زيارة المرضى في دار العجزة وأن يضع أهالي القرية ذلك في حسبانهم فكما يزار المريض في المستشفى والمنزل ويسأل عنه بالهاتف... كذلك كبار السن فإن الزيارة مفتوحة ولها أوقات محددة.

وإن الصندوق لعلى ثقة كبيرة في أنّ أهالي القرية سوف يهتمون لهذا الموضوع لما عُرف عنهم من تكاتف اجتماعي قوي ومن حب للخير... رزقنا اللّه وإياكم التوفيق لما يحب ويرضى وأن نكون ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

ابوضياء



إدارة الصندوق في زيارة لدار العجزة والمسنين

في إطار الزيارات التي يقوم بها الصندوق... قام مؤخراً ممثلو إدارة الصندوق بزيارة لدار المسنين في المحرق والأخرى في مدينة عيسى للاطمئنان على وضع كبار السن من أهالي القرية.

افتتاح مسجد الشيخ درويش

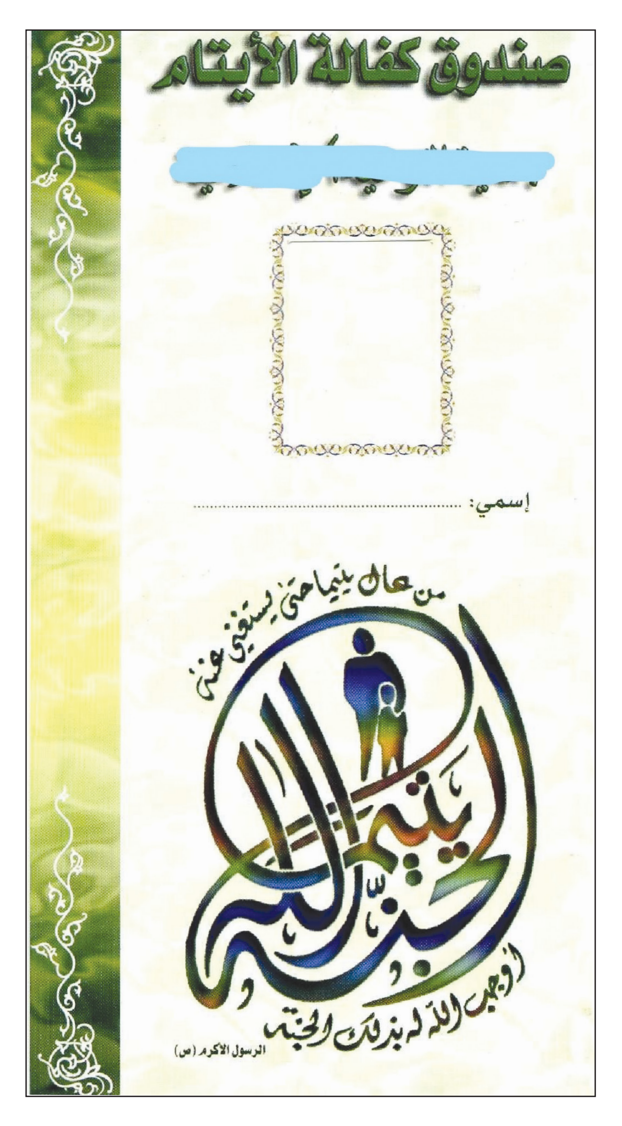
مع احتفالات المولد النبوي الشريف قام سماحة الشيخ علي سلمان بافتتاح المسجد والتي أقيمت فيه صلاة المغرب والعشاء بإمامته. وألقى بعدها كلمة تطرّق فيها إلى دور المسجد الفعّال وما يقوم به من أنشطة وترابط للمجتمع، وكذلك تطرق الشيخ إلى ضرورة تخصيص مكان خاص للنساء، كما شكر القائمين على بناء المسجد وعلى تخصيص مكان خاص بالنساء في المسجد.



الزواج الجماعي الثاني

تزف القرية في ١٥ من شهر يوليو الجاري أبنائها العرسان في الزواج الجماعي الثاني والذي سيقام هذا العام بمشاركة صندوق البلاد القديم، والذي سيقام على أرض المعارض، وقد بلغ عدد العرسان (٥٠ عريساً).

ملحق رقم (٢٦)


صندوق كفالة الأيتام
إسمي: ....
من عال يتيما حتى يستغني عنه
اليتيم الجنة
أوجب الله له بذلك الجنة
الرسول الأكرم (ص)

ملحق رقم (٢٧)

الحوزة العلمية رائدة التجديد

HAWZA OF NAJAF LEADER IN INNOVATION

المؤتمر الدولي حول التجديد في المنبر الحسيني

The International Conference on Innovation of The Hussaini Pulpit

١٦- ١٧ اذار ٢٠١٧ م

١٧- ١٨ جمادى الآخر ١٤٣٨هـ

النجف - كربلاء

ملحق رقم (٢٨)



أثناء مشـــاركتي بقـــراءة ورقتـــي في المؤتمر الدولـــي حول التجديـــد في المنبر الحسيني. المنعقد بتاريخ ١٦-١٧ آذار ٢٠١٧. في النجف الاشرف، وكربلاء المقدسة.



مع استاذي آية اللّه الشيخ هادي آل راضي.



مع المرحوم الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي في دمشق سنة ١٩٩٦,



ـ السيد مضر السيد ناصر الحلو.

– مواليد مدينة النجف الاشرف بالعراق سنة 1963.

دراسته:

– بدء دراسته للعلوم الدينية في الحوزة العلمية في النجف الاشرف سنة 1980 على يد الشهيد حجة الاسلام السيد عبد الصاحب الحلو والشهيد حجة الاسلام الشيخ يحيى الكعبي.

– حضر البحث الخارج على مجموعة من كبار الاساتذة منهم اية الله الشيخ باقر الايرواني واية الله الشيخ هادي آل راضي واية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني واية الله السيد عادل العلوي وغيرهم.

نشاطه العلمي:

– مارس تدريس العلوم الشرعية في حوزة قم العلمية وفي حوزة الامام الحسين بلندن.

– صدر له من الكتب معجم من تسعة اجزاء في تراجم اعلام الكوفة الى نهايات القرن الرابع الهجري .

– كتاب البيان عما في لسان الميزان. دراسة رجالية مقارنة.

– كتاب المنبر الحسيني الواقع والطموح .

– هذا الكتاب.

– نشر العديد من البحوث، والمقالات في دوريات وصحف، ومواقع الكترونية مختلفة، كمجلة الفكر الجديد الصادرة في قم، ومجلة النور الصادرة في لندن، ومجلة الكوثر الصادرة في لندن ايضا، وصحيفة الصباح الصادرة في بغداد وغيرها.

الخطابة:

– تصدى للخطابة والقاء المحاضرات لاعتقاده بضرورة التجديد في الخطاب الديني عموما، وإدراكه ماللمنبر من أهمية في إشاعة الوعي بالدِّين ومفاهيمه، وماله من التأثير على واقع الناس وحياتهم.

– مارس الخطابة في أماكن متعددة من العالم كدولة الامارات والكويت والبحرين وقطر، وامريكا وكندا وبريطانيا والدنمارك والسويد وبلجيكا وايران ولبنان وسوريا واخيرا بعد التغيير في العراق، فقد أحيى أول شهر رمضان بعد سقوط النظام في العتبة الكاظمية واستمر بعدها بالقاء محاضراته فيها وفي العتبة الحسينية بكربلاء.

AlhiloModhar@

https://www.facebook.com/alhilou.m

modhar-alhilou@hotmail.com

هذا الكتاب

أدركت المرجعية الدينية الكريمة في النجف الأشرف الواقع المأساوي للخطاب الديني المعاصر بصورة عامة، وللمنبر الحسيني على وجه الخصوص، ومستوى التدهور غير المسبوق الذي بلغه، ما دعاها الى مواجهة ذلك بصوت عال، والتدخل مباشرة للوقوف بوجه هذا التراجع المقلق، وتحرير الخطاب الديني من براثن الخرافة، والتكرار الممل، والاجترار المبتذل، وهيمنة ما لا يرتضيه ذوق، ولا يقبله منطق، بتبني مجموعة وصايا فائقة الاهمية تشكل أساسا، وخارطة طريق لإصلاح هذا الخطاب، وما ينبغي ان يكون عليه... في هذا السياق يأتي هذا الكتاب كمحاولة على طريق النهوض والارتقاء بواقع هذا الخطاب، سعيا إلى أن يأخذ مكانته اللائقة في آفاق التثقيف، وصناعة الرأي العام على أسس علمية متينة، ويخرج من حالة رثاثة الطرح، وهزالة المضمون إلى القوة والرصانة، ومن السبات والخمول إلى التاثيروالفاعلية، اعتقادا منّا ان الإمام أبا الأحرار الحسين بن علي (ع) يستحق أن يقدم بصورة أرقى، ومنهج أكمل.